أبو يمان دحان القباتلي

وهج الرَّماد

روايـة

دار نشر
عناوين
BOOKS
رؤية عصرية للنشر

دار نشر عناوين BOOKS رؤية عصرية للنشر

www.anaweenbooks.org

anaweenbooks@gmail.com

يمنع طباعة أو تصوير هذه المطبوعة أو أجزاء منها، أو حفظها أو نسخها على الوسائط الإلكترونية من غير موافقة مسبقة من المؤلف.

العنوان: وهج الرَّماد (رواية)

المؤلف: أبو يمان دحان القباتلي

المقاس: ١٤ × ٢٠ سم

عدد الصفحات: ٩٦ ص

الطبعة الأولى: ٢٠٢١

© حقوق الطبع محفوظة

عناوين Books

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب _ حضرموت:

٢٠٢١/٣١٤

إهداء

إلى ضفائرها التي لم أر أبدا

أهدي هذا العمل

كَتَبَ في مُذكِّراتِه.. عائدٌ من مُدُنِ الفلين والقسطل..

دون فلينٍ ولا قسطل، خائبٌ مقصوص النِّياط، لكني عائد، شريد الخريطة، والحبيبة، لكن اسمي العائد..

فقد كُتبت العودةُ على أبناءِ الفناء، وكل التواريخ على حدِّ ألمي أقسمت على عودةِ العشَّاق، حافي الروح، جائع الأصقاع، لكني عائد.

عائدٌ لشذى.. مَن شذى؟!

شذى نفخة صوري، ضربة عصاي السَّاحرة، انفجار الكون الأول، دهشة طفل وردي الوجنات، فرحي المؤجَّل، مخلصي المنتَظر، لو أنصفوا دهري، لمحو اسم أسرتي من البطاقة وكتبوا اسمها..!

أنا أعتقد جازمًا أنه يجبُ أن تصدَّر بطاقات تعريف خاصة بالمسكونة قلوبهم، بطاقة محترقة الحواف بالشُّهب، مكتوب فيها اسم المحبوب وأمّه الهاوية، مات قلبه ألف مرة بتاريخ.. كذا..

يكتبون أحبَّها للأسف، وماتَ حين فارقته يوم كذا ويوم هذى.. هكذا تستقيم الأمور وتنضبط..

كل العشَّاق يتعدد موتهم، ما من عاشقٍ يموتُ مرة واحدة، وأنا بلا فخرٍ ممن يقبضُ بتلابيبي الصَّوت الأنثوي المبحوح..

المرأة عندي ممجدة تلهو في خرائبِ الروح، وتعزف تغريدة الغرام، ووجيف العشَّاق، كل غزواتي الممرغة بالصفعات، والنَّزق، إلا وكان سببها أذني.. منذ الصِّغر تكونت عندي أُذُنٌ مُوسِيقيّة خبيرة تُحلّق في فضاءاتِ الكون الممتدة، وتعيش في جو خُرافي مدهش غير آبِهة بالأصوات الأخرى، المعلمُ يشرح جداوله، وأنا في قصرٍ مشيد مطل على بُحيرةٍ ساكنة، وحديقة غنَّاء؛ جمعت بين جنباتها الورود، والطُّيور المهاجرة، والروائح السَّاكنة في عمقِ الروح.

حفيف الأشجار يُطرِبني، وفرقعة سوط المعلم لم تستطع أبدًا أن تعدني بحياة هانئة بعيدة عن المنغِّصات، والمكدِّرات.. من ذا أفلح في التعليم وفي الحياة؟

افتح يديك.. الدموع تتسارع تلهب قاع عيني على فراق صوت العصافير الذي يسعد الروح، ويجعل الدّفء يسري في مساماتها، الضرب في المدرسة يرفع مقامي عاليًا، ويضمن لي دكّة في آخر الصف..!

فقد أتعبني التفكير، وصوت شذى النَّاعم، فالأوتار الصوتية الرقيقة تُحيل ظلمة القلب إلى يومٍ مشمس، ودافئ، وبهي، فهي معزوفة غالية تتراقصُ هلعة مع مفازع اليتم اليوم، الصوت لا ينفك، يسري كالخدر في أعصابي، يرسم طيفها، يحرّك عواطفي، يسبي قلبي.. فأنحرف غائمًا عن أطيافهن وأشباحهن.

صوتكِ يا شذى يجبّ ما قبله؛ يمحو الشرك في القلب.. الصوت الناعم يأسرني، أعني صوتكِ، ويجدد حيويّتي، ويفعل بي الأعاجيب، وكأني شربت قدَحًا من الشَّراب المُسكِر

أين أنتِ يا ظلي المفقود.. ؟!

فـي ذلـك اليـوم المشـهود ، فكّـر طويلًا فـي ضرورة البحـث عن ظِله المفقـود ، فالبطالة العاطفيـة التي يعاني منها منذ أمد أثّرت على نفسيته ، رهين المحبسين ، الحال والقلب..!

قـرّر أن يعـود لخطـطِ الأجـداد ، يبحـثُ عـن صاحبة الصـوت الرقيـق؛ علّـه أن يظفـر بها فيتزوجها ، فلا شـيء يسـدُّ الفراغ الذي يعانيه إلا هي سـيبحثُ عنها في شـتاتِ تفاريـق النَّبـض ، والأريـاف ، والجبـال ، والسـهول حتـى يجدها؛ فصدى صوتها النَّاعم ما يزال يعبثُ بجدران قلبه.

ألتقاهـا في طريقه للسـوق ، وهي تهمـسُ للبائع بصوتٍ مبحـوح: أعجبتني السِّـلعة فتعلّق قلبُه بهـا فأحبها ، ما من طريقة مثلى لتكون له ، اليأس بئرٌ له ألف يد ، يقبضُ على السَّاري والمدلج ، وحتى الغافل مثلي.

بحـثَ عنهـا فـي كلِّ مـكان ، ولكـن دون جـدوى ، تلاشت ، فلم يجد لها أي رسم على رمل.. لا أثر ، ولا عنوان.

هـل هي ملاك هبط من السـماء إلـى الأرض لحاجة ثم

تلاشت.. ؟

فجـأة عرف أنها كانـت جارة له، وانتقلـت للعيش في المدينة المجاورة، هنَّأ نفسه على حظه، وقدره السَّعيد..!

عرَفت أمُّه فأسـرَّت لوالده؛ فاتّفقا بضرورة الذهاب إلى منزل الفتاة..

ذهبـت العائلة، يحملون الأمل فـي القبول، وكثيرٌ من الهدايا، وتكلّلت مساعيهم بالنّجاح، وتمَّت خِطّبتها بكل سُهولةٍ ويُسر، من فرط فرحته لم يصدِّق ما حدث.. أهكذا اليُسـر الذي يُسـمعُ عنـه..؟ أهذا هو اليُمْـن، والبركة في أدعية العجائز..؟!

من أين أتت هذه السّعادة؟

هل انفلتت من رضوان خازن الجنة..؟

فـاض الخيـرُ، والفرحُ علـى أهلها حتى سـالت الأرجاء بهذا الفيض..

أو مبارك أنت يا أحمد بكل هذا..

غدًا زواجك..

يا له من يـوم بهيج، فالظِّل المفقود قد وُجد، والصوت الرقيق الناعم أصبح رهن إشارتك، صوت الحبيب يُبثّ من راديو للسعادة خاص بك محطّة لك وحدك..

هنا الخفق.. الساعة الواحدة بعد الياسمين..

جلـس الحبيبان برهة من الوقت، وكان الخبر المبهج لأحمد أن شـذى همسـت فـي أذنيـه بصوتها العـذْب؛ أنها كانـت تحلـمُ بـه فارسًـا لأحلامها، فقـد أحبته يـوم رأته يتجول في سوق القرية؛ لاحظته دون أن يفطن إليها، وحال بينها موج الخفر.. فسُـر وجهه، وتراقص قلبه فرحًا وطربًا ثـم اسـتأذنها للرجـوع، والسَّـعادة تغمـره، والبسـمة تعلو محياه، والفرحة بادية على قسـمات روحه.. ما إنْ وصل إلا والمهنئـون يُهنئونه على تمام الخِطبة، وهنا قرر أن يكتبَ أول رسالة إلى شذى.. فكتب:

إلـى حبيبتـي، ورفيقـة الـدرب، إلـى زهـرة شـبابي، والعنفوان، إلى نبض قلبي، ودمي الذي يجري في أوردتي، أكتب..

إلى ذكريات طفولتي كما أحب لو كانت، ومستقبلي

كما أتمنى وأدعو..

حُبِّي الكبير شذى:

كل أحلامي تحمل في قلبها أمنية واحدة، أن تكوني لي، لي وحدي دون الخلائق، بإمكانكِ أن تقولي أنَّ هذه الأمنية الموغلة في الأنانية، أمنية مشاكسة لا تهدأ، ولا تقر في جانب من نفسي، لقد تمنيتكِ في وحدتي، وجمعي، وتمنيتكِ بهدأة الليل.. تمنيتُ العيون الخجلى التي يبرق منها الأمل، أملي، والسحر في الشفاه الوردية المترددة، سحركِ لي.

تخيّلتُ شلال الشعر الحرير يغمرنا معًا ساعة تجلي، نتدثر به سويًا، ولا عزاء للحُسَّاد، أنا وأنتِ من الناجين، يا حُبّي فافرحي، نعبر تفاصيل الكدح والحياة، إلى حيثُ عشنا، بيتنا يا قلبي.. غدًا نلتقي فاكتحلي بقلبي، والأماني السَّابغات.

حبيبكِ دومًا أحمد.

وضعَ رسالته في مظروفٍ خاص، وأرسلها إلى شذى مع ساعي البريد، ثم بدأ يتجوّل في شوارع، وأزقّة القرية

الوادعة، والتي بدأت الأحداث تتصاعد فيها.. محظوظ من يموت أحبابه وهم أحبابه من يدفنهم وهم لا يزالون على وده، من يقطع الطريق لقبورهم، وهو ما يزال يحترمهم، ويعتز بذكرياتهم.. لا شيء أسوأ من اضطرار المرء لوأد حبيب سابق بمكب نفايات.. من قال أنَّ الرصاص، وعزف البلى فظاعة.؟!

الجحيم الآخرون.. الجحيم ورق الهدايا اللامع الذي ليس له من النزاهة ما يجعله يعترض على تغليف وجوه النفاق اللزجة، وطرود الدود.. قَلبَ أحمدُ بحذائه عُلبة غازية مرمية في عرض الطريق، وكرر بصوتٍ مسموع هذه المرة.. الجحيم الآخرون..

مَن من الآخرين يا تُرى تجرأ على توزيعِ كل هذا القبح على أزقَّة هذه القرية

الوادعة؟!

مَن تزعجه الروائح الزكية، وتصيبه بالغثيان، وتفسد حياته الورود الجميلة، وكأنها شوك السَّعدان؟!

من يحترف إشعال الحرائق بكل سَهل وقُبّة..؟

مـن سَـمل عيـون أهـل هـذه القرية؟ أنـا لا أذكـر أنها تشـرفت بدخـول ملك يفسـد فيها.. ليـس فيهـا إلا الرعاع مؤخرًا..

وهذا منهم.. كيف حالك يا أبا محمد؟

لم يجبه.. فأجاب نفسه بشرٍّ حال..

عد أحمدُ السـير لبيت شـذى، وهو يتشاغل عن تجمهر البعض حول أثاث مستأجر يبدو أنَّ مالك المنزل ضاقَ به، وبصاحبه فرماه.

التَّبني حرام، والفقر ابـن القلاقل، ويرتبط بالفلافل، من عنـده إيجار عُش حمامة في هذا الزَّمن الأغبر؟ معذور واللّه..

أحمد يسوح بعقله، أليس هذه القرية تاريخية، لها إرث حضاري يمتد لما قبل الميلاد.؟ ولجمالها الآسـر أصبحت مقصـدًا للـزوَّار، ومكـانًـا أثيـرًا للسـيَّاح..؟ قصورهـا، مسـاجدها، جبالهـا، معالمهـا، ووديانهـا، هضابهـا، شلالاتها حولتها إلى تُحفة معمارية آسرة.

وحتـى التنوع المذهبـي أضفى عليها شـيء من الجمال

الأخـاذ، فالترابـط الأسـري متماسـك، والمنـاخ الثقافي مدهـش، والشـورى هي المعيـار السـائد عندهم، ولكن هذا البهـاء، والجمال لم يدم طويلًا، ولم يرق لمن امتلأت قلوبهم مرضًا، ونفوسهم حقدًا وحسدًا.

ريـاحُ الخيانـةِ بـدأت تهُب، وبـدأت المؤامـراتُ تُحاك بإتقان، وبطريقةٍ شـيطانيةٍ قبيحة تـارة بالتّخوين، وأخرى فـي إذكاء الحميّة الجاهليّة، وهـذا دأب الخونة في كلّ الأزمنـة، وعلى مرَ العُصور.. سـلام اللّه علـى والدي، فقد تفطّـن لمُثيّـري النّعرات مُبكّـرًا، وتعامـل معهم بحنكة وذكاء.. مـا زلـتُ أتّذكّـر عمـوده الأسـبوعي فـي إحدى الصحف المحلّية، وهو يحذّر من خطورة التّعصب القبلي، ومن إحياء روح الجاهلية الأولى من جديد، ولمّح في مقاله؛ بأن من يسعون لبث الفرقة يعرفهم في لحنِ القول!

واصـل أحمـدُ السّـير فـي أزقّـة القريـة، وهـو مُنهمكٌ بالتّفكير، سـارح بالخيال، سبحان اللّه لم يدُر في خَلَدي أبدًا؛ بأنَّ الأحداث البسـيطة التي عصفـت بالقرية القابعة علـى سـفحِ الجبـل الممتد إلـى جنـوبِ المدينـة المجاورة سـتكون بمثابـة جرس إنـذار، وبدايةً للتشـرد، والهروب

الكبير؟!

موجات الهجـرة نحو المجهول كالأمـواج المتلاحقة، والسـعيد من يهاجر هجرة لا يحلم بها سـجينٌ مُكبَّل.. ما من عرَّافٍ وقح سـمعَ في الملأ الأعلى أنَّ القرية المسالمة؛ سـتصبح قاعًـا صفصفًـا، وخرابًـا مُروِّعًا فتجـرأ على أن يهمس بهذا..

مـن كان يصـدق أنَّ المنـازل الفارهـة سـتدمَّر، والآثار التاريخية سـتحطّم، والمشـاتل الزراعية ستحرَق، والحيوانـات الأليفـة سـتهرب، وحتـى الـكلاب الضالـة ستموت من شدة الجوع والعطش؟!

فواحسرتاه.. هذه التّخيلات، وهي تعتلج لم يعرها أحمد أي اهتمـام، فقـد كان يـرى أن التّفكيـر بهـا سـيعكِّر مزاجـه، ويكـدّر صفـوه، ويبلّـد مشـاعره المتدفقـة، والغزيـرة نحـو محبوبته شـذى.. لـم يبـق إلا أن ينعطف مع الطريـق، وتشـرق بحضورها لـم يبقَ دون بيتها إلا شـارع، ولم يبق دون العرسِ إلا القليل فيا نفسي صبرًا..

منـذ خِطبة شـذى، وهـو يرسـمُ الآمـال العريضة، في

بناءِ مستقبله، وصُنع مجده، وتحديد الخارطة الذهبية لزهرة شبابه، فكان كثير التّأمل، قليل الكلام، يُدّون خواطره، ويسكبُ مشاعره المتدفقة على الورق الأبيض، والذي أطلق عليه «صديق الظّل» فقد اتّخذ الورقة البيضاء صديقًا ملازمًا له في حله وترحاله، وحضره وسفره، وفرحه وحُزنه.

كتب لشذى عشرات الرسائل الدافئة، وأنشد لمعشوقته أشعارًا فيها من الصبابة، والعشق والوله ما يرضي الروح، ويسر القلب.. إنه حالة استثنائية في زمن الشتات الروحي، والظمأ العاطفي.

حب غرير يأبى أن يسير على الشظايا، فقد أخذت مساحة كبيرة من تفكيره، فكان سخي المشاعر، كريم العاطفة يجبُر خاطر المحروم، ويعطي الفقير ما جادت به نفسُه.

أما الأحداث السياسية فقد كان يهرب منها، ويكره الحديث عنها بخلاف شذى، والتي تعيش في المدينة المجاورة لقريته، فقد كانت مهتمة بمتابعة الأخبار الجارية، وقراءة كتب الفلسفة والمنطق، فكانت تحلّل

وتستنتج، وتربط أحداث الماضي بالحاضر، فتستخرج العِبر والدُّروس..

علاقته بشذى ممتدة لسنوات، وفيها من الذكريات، والرسائل والحنين ما تُشنَّف لها الأسماع، وتُقام لها الموائد، فقد تسرَّب الحُب الطُّفولي، والعُذري إلى قلبيهما مبكرًا، واستوطن، واشتد عودُه مع جريان الزمان، فكان حبًا مُدهِشًا، وعاطفة قوية تغلغلت في مسامات جسديهما، وتأصَّلت في نياطِ قلبيهما، بدون خداع، أو زيف، أو وضاعة تأنفها الطباع السليمة، وتفر منها الفطرة السوية.

لقد كانت الرسائل المتبادلة بينهما هي السَّبيل الوحيد لإطفاء نار شوقيهما المتّقِد، والهائج كالحمم البركانية، فكانت بلسمًا لهما، وسكنًا لأرواحهما المبعثرة فتخلُد إلى الدّعة والراحة، بعد المشقة والعناء، وترتشِف ندى رحيق الزهرة بعد ليلةٍ ممطرة، وعطش قاتل.

إنها رسائل المجد والسمو، رسائل الحب النقي، والهدف النبيل، رسائل تجعل أحدنا يطير في مساحاتٍ كبيرة، ويفرد جناحَيه بعيدًا عن الآلامِ المصطنعة، الآلامِ

التي أصابتنا بالشَّلل، وقيدت تفاعلنا في الحياة.

إنها رسائل الهروب من واقعٍ مؤلم، وكئيب، يجعل الحياة أكثر ضراوة، وأكثر قتامة. هذه الرسائل ليست عبارة عن كلماتٍ منمقة، أو جُملٍ مصفوفة، وإنما هي مشاعر انسكبتْ فشكّلت صورة مصغرة عن الحياة الهانئة، والمُفعمة بالوئام الأسري، والرباط الوثيق بين قلبين تحدَيا الحياة الرتيبة لينتصرا.

نظر أحمد إلى أحداث القرية المتصاعدة، وإلى نذر الفوضى المتكررة، فأصيب بوسواس قهري فأصبح ديدنه اليومي.. مقارع الحيرة، ونبض الدماء الهاربة للأذنين شغله.

الخوف يكفن وقته، وكأنَّ قلبه تحوّل لقلّب فرخ يجني عليه أرق الأشياء طرًا.. النَّسيم، والمطر!

هو خائفٌ من المجهول، تدمير القرية، فقد شذى، المكر والخديعة!!

اللعنة على من يريد إفشال الزواج..

لا أرى ذلك إلا حسدًا، فهم يريدون خراب القرية حتى

لا أتـزوج، هنـاك أمر دبِّر بليـل، العار والشـنار لكم أيها المرجفون، دعونا نعيش بسـلام، وارحلوا أنّى شـئتم، فلا كرامة لكم.

جلـس والـد أحمد على مكتبـه القديم، وارتشـف من فنجانـه البـارد رشـفة أسـخنتها انفعالاتـه المكبوتة، ثم التقـط ورقة بيضاء، وخط في منتصفها عنوانًا: من يطفئ النار..؟!

تأمـل العنـوان بعينيه المتعبتين ثم قلَّـب الصفحة، وبدأ فـي كتابـة عمـوده الأسـبوعي، الفتنـة تنـامُ فـي حضـنِ الخـراب، عندمـا يفتقد الإنسـان للضمير الحي يسـتحيل لكائنٍ هلامي حقير المخبر، والغايات.

حقيقة اسـتوقفتني بشـدة فـي هذه الأيـام - بعد حادثة مقتل، وسرقة تاجر سوق العامرية- موجات التشويه، وبذر الفتنـة الطائفيـة التـي ركبها البعض، فمـن حادث فردي قـام به لـصٌّ صاحب سـوابق، قلبـت الأحداث، ولـيّ عنق الحقيقـة، ومحاضر التحقيق، ليصبح اعتداءً مقصودًا من قبيلةِ القاتل على عشيرة المجني عليه..!

اعتـداء يوجـبُ حـرق الأخضـر واليابـس، وتكسـير المحـلات، ونهـب أموال وأعراض معصومـة دون مبرر من شرعٍ ولا طبع.. فما الذي يحصل؟

من يا ترى له مصلحة في إشعال فتنة طائفية بهذه القرية الوادعة.. ؟

مـن المسـتفيد مـن القلاقـل وزعزعـة الأمن، وسـحق الطبقات الهشة، وأصحاب الدخل المحدود..؟

كم من عامل سرح من مصانعنا المتوقفة عن الإنتاج؟

وكم من رأس مال سحب من بنوكنا المهددة بالنهب..؟

إن هذه الفئة ميتة الضمير خبيثة المآرب لا تسـتحي من التلفـع بثيـاب الوطن، ورفع الشـعارات الوطنية في سـبيل تحقيق أجندات مشبوهة، اللّه أعلم بمداها وبمن وضعها.

والحاصـل أنَّ الوضـع خطـر، وينـذر بالانفجـار مالـم يتداركه العقلاء، وأهل النّخوة من أبناء هذه الأرض.

معاشـر العقـلاء ليتنا نتعقـل، ونضبط أنفسـنا قبل أن نندم، ولات حين مناص.. وضع الحاج «شـفيق» القلم، وهو

يشعر بعدم الرضى عما كتبه، الوضع يتفاقم بالقرية، وما من كلمات تستطي النصح أو التعبير، صوت العنف على ما يبدو صمَّ الآذان، والقلوب المليئة بالحقد، ورفض الآخر المختلف.

في المساء اجتمعت الأسرة حول مائدة متواضعة بفعل الغلاء.

أراد الحاج أن يفهم سر صمت أحمد المزمن تجاه الأحداث الجارية فناوله طبق الطعام، وسأله:

■ أحمد

■ هل تتابع ما تنشره الصّحف المحلية عن أحداث القرية؟

■ هل قرأت عمودي الأخير..

■ الحقيقة لا.. أنا مشغول كما تعلم، ولا أريد أن أُشوش عقلي بأخبار السياسة..

■ ولكن يا أحمد أنت تعيش هنا، ولو قدّر الله وأُشعلت الحرائق سيتضرر الجميع، وأنت فرد منهم، ولعلَّ طبيعتك

تختلف عن طبيعة شذى، فقد وجدتُها مهتمة بالأحداث الجارية في المنطقة، ولديها الكثير من الكتب والصحف والمجلات.

■ والدة أحمد تضحك وهي تغمز لأحمد في حنان، جد لها عملًا معك، ودعني وابني بسلام، نبرة صوت الأم توهجت في خاطر أحمد فتذكر شذى، وعشقه للأصوات المدهشة.

لا شيء يبعث السَّلام في قلبِ شريد الخاطر كصوت حبيب.. أما في القريّة فقد شكّل شيخُها خلية أزمة سريّة مهمتها متابعة، ورصد مُثيري النَّعرات الطائفية. والتعصبات القبلية، ورفع أسمائهم، لكي ينالوا جزاءهم.

بدأت الخليّة السّرِّية تتابع خيوط المؤامرة، وترصد كل المتورطين في شرخ العلاقات الاجتماعية بين الأهالي، وفي إذكاء حمية الجاهلية في النفوس.

وجدوا أنَّ الأمر جدُّ خطير، وأنَّ قصر الشّيخ مُهدد بالسقوط مالم يتخذ إجراءات صارمة، وحاسمة تقضي على المتورطين، رفعوا تقريرًا إلى الشّيخ بخصوص

ذلك، ومع توقيع كل أعضاء الخليّة السّريّة.. قرأ الشيخ التقرير، واجتمع على وجه السّرعة مع جميع مستشاريه؛ لينظروا في الأمر، ويحدّدوا العقوبة المفترضة عليهم.. هناك من تكلم بنبرة حاسمة بضرورة إلقاء القبض عليهم، ومحاكمتهم بتهمة الخيانة الكبرى، وهناك من رأى بأن الأسلم مناصحتهم، والتلطُّف بهم قبل تشديد العقوبة عليهم.

بعد الأخذ والرد، وجد الشّيخ بأنَّ الغالبية من المستشارين مع الرأي الثاني، بضرورة المناصحة قبل العقوبة؛ فأمَرَ بتشكيل لجنة مُصالحة، والتوجّه إلى مُثيري النّعرات الطائفية، ومناصحتهم حتّى لا يُعرّضوا أنفسهم للعقوبةِ القاسية، وهذا ما حدث بالفعل فقد تم استدعاء مُثيري النّعرات الطائفية لمعرفة دوافعهم.

■ اللجّنة

بداية الكل يُعرّف بنفسه، اسمه، منزله، أسرته، عمره، مستواه التعليمي

■ كاتب الضبط يفتح اضبارته

■ قائـد مُثيرّي النّعرات تحدّث بإسـهاب ممل، فكانت المفاجـأة، أنـه ينتمـي إلـى إحـدى الطوائـف التـي تريـد قلـب الحكم بالقوة!! ثم عرّف بنفسـه الثانـي، والثالث، والرابع، والخامس..

وهنـا رأى المسـؤول الأول في اللجنة بضـرورة الإنفراد لبعض الوقت قبل سؤال مثيري النّعرات السؤال الأهم.

مسؤول اللجنة:

أنـا في حيرةٍ من أمري، سـأكون معكـم صادقًا أنا، وأنـت يـا محمـد، وأنت يا سـعيد، وأنت يا علـي، وأنت يا هاني، وأنت يا حسـين، وأنت يا مقداد أليس كلنا ننتمي إلى نفس الطائفة التي تنتمي إليها هذه المجموعة؟

الكل أجاب: نعم.

مسؤول اللجنة:

كلنـا نتمنى الأمـن، ونترحم على ابن عمنـا المغدور، والأربعـة الذيـن قضـوا في هـذه المواجهـات الصادمة هل تتفقون معي؟

نعم.

مسؤول اللجنة:

إذن فلنرجع إليهم، وسأبين لهم كل شيء.. ما إن وصلوا إليهم مرة ثانية حتى وجّه إليهم مسؤول اللجنة السؤال الأهم:

لماذا تثيرون النّعرات الطائفية، وما هي أهدافكم؟

لم تصرون على الثأر من الأبرياء في حين أنَّ القاتل تمَّ ضبطه، وإيداعه السجن على ذمةِ التحقيق.. ؟!

المجموعة:

لم نقم بالنّعرات الطائفية، وإنما سعينا لتحقيق العدالة، فالشّيخ لن ينصفنا، وقد جرّبناه من قبل، فهو لا يهُمّه الاعتداء على عشيرتنا، ولا يعرِف قِيمتنا، ولا قيمة ابننا المغدور.. إنَّ أسرتنا ذات حسب ونسب، ونحن جزء من هذه القرية، وقد حكم آباؤنا كما هو معروف القرية عشرات السنيين فكيف تجرأ الأسافل على أسيادهم..؟! يجب أن نعلمهم الأدب.

مسؤول اللجنة:

هـل تعرفون أنَّ عقوبة مثيري النّعـرات في قانون القرية يصل إلى الإعدام؟

المجموعة:

في سبيل أهلنا سنضحّي، ولو بأنفسنا!!

مسؤول اللجنة:

عمومًـا، نريـد منكـم الهـدوء، وهـذه آخـر فرصـة نمنحكـم إياهـا، وبالنسـبة لهدفكـم كلنـا نسـتنكر حـادث المرحوم، ولكنه حادث قتل لفردٍ واحد، ولا يجب أن يتحول لشلالِ دم بينَ الأخوة.!

هل فهمتهم؟

المجموعة:

نعم.

مسؤول اللجنة:

سـنرفع تقريرًا إلى الشـيخ؛ بأنكم التزمتـم بعدم إثّارة النّعـرات مرة أخـرى، وأطلب من قائد هـذه المجموعة أن

يزورني إلى بيتي الأسبوع المقبل.

المجموعة:

اتفقنا.

بقدر ما تصطبغ كراسي المشايخ برتوش الإيديولوجيات المستهلكة، وتتلوث بأذواقها المريعة بقدر ما تبدو أصابعهم ملطّخة، ومجرمة بإفساد القرارات المهمة..

وكأنَّ أحدهم طفل مفسد أقحم يديه في علب تلوين زيتية، وعاد لمكتب والده يعبث بأوراقه المهمة.

الفرق فقط أنَّ الشخصيات المؤدلجة؛ لا تكتفي بوضع البقع أينما حلت، بل تشرب علب الألوان السَّامة، وترغم غيرها من الأولاد على شربها.

تشرب الألوان وقوارير عطر الأمهات، وتمزع أثواب عيد كل البنات، والحل: العصا لمن عصى.

العصا والرصاص لسكان الملاهي، والفنادق الغالية إياهم، للشاربين الدماء والألوان، للراقصين على

اللوعات، وأصوات غرغرة الاختناق بأكياس البلاستيك على الوجوه.

عظَّم الله أجر الأوطان في النزاهة فقد كانت لعمري أجملهن!

رجعت اللجنة إلى قصر الشّيخ، ورفعت له تقريرًا عن المجموعة جاء في خلاصته:

أعضاء المجموعة أظهروا النَّدم، وتعهدوا بعدم إثارة النّعرات الطائفية مرة أخرى.. وبعد أسبوع تمَّ اللقاء بين زعيم المجموعة، ومسؤول اللجنة كما هو محدد سلفًا..

■ مسؤول اللجنة: يتفحص المشتبه، لقد استدعيتك اليوم إلى هنا حتى نتفق على بعض الأمور المهمة..

زعيم المجموعة..

■ الزعيم: هذا شرف لي سيدي، وأنا تحت خدمتك، ورهن إشارتك..

مسؤول اللجنة:

■ المسؤول: حادثة قتل التاجر أدمت قلوبنا جميعًا،

وسيأتي الوقت المناسب الذي نرد فيه الصَّاع صاعين، ومن الآن ليكن في علمك؛ أنك ومجموعتك تحت إشرافي، وتتلقّون الأوامر مني مباشرة لتنفيذ بعض الأعمال المطلوبة منكم في الوقت المناسب، ولا تخبر البقية بهذا ، كذلك إن تم تسريب أي معلومة إلى الإعلام، فلا تلومنَّ إلا نفسك.. أهذا واضح؟

■ القائد وهو يزفر: اتفقنا..

رغم وعود زعيم المجموعة للمسؤول تصاعدت نذر الفوضى في القرية، وتعددت الاشتباكات الدامية، وحوادث السرقة، والاعتداء الممنهج على صغار الباعة، والمنقطعة سبلهم في الليل، والأزقة غير المطروقة..

جُرِح سـمير خادم عائلة (شذى) فتصاعد خوف شذى، واستحكم قلقها من أن تكون هذه الأيام الصعبة مخاض لأحـداث أسـوء قادمـة صراخهـا عويـل؛ فأفضت بسـرها لصديقتهـا فاطمة، فاتخذت جلسـة الأمهـات عند النُّصح وقالت لها:

شـذى اسـمعيني، ابعثي إلى أحمد رسـالة، اشرحي له قلقـك المتنامـي، وطالبيـه بالتعجيـل بالزواج، أنـا فعلتها عندمـا خفت من ضياع منصور، أتذكرين حين سـكنت البومة زينب، وابنتها بالقرية بعد عودتهم من الخارج بمجرد أن حادثتني عن رقيهم، ودعوة زينب لأمه على وليمة جننت..

أختك مجنونة رسمي.. ههه

أمسكتُ بتلابيب منصور، وغنيتُ له الآن الآن، وليس غـدًا، ابعث الوالـدة للدار يا هذا.. الرجـال خونة لا يثبتون على حال.

اسـمعيني: ما مـن مقبض تمسـكين منـه الرجل حين يديـر لك ظهره، غدًا ينصرف، ولا تملكين إلا أن تركله

كرامتك..

مـا من رجل يمتـلأ قلبه بواحدة، أصلًا قلوبهم بها أربعة غرف مفروشة، وجاهزة للإيجار غرفة لكِ، والبقية بحسب الأرزاق والتساهيل.

المرأة العاقلة تحاول أن تكون أربع نسوة، لهذا تتعب، وتبذل من الجهد الكثير، أو تكتفي بغرفتها المخصصة لها، وتترك له الحبل على الغارب، إنهم كائنات شرهة لا تقنعُ بواحدة.. لهذا حلل الشرع أربع زوجات للرجل الواحد، المولـى يعرفهم.. فلا تجازفـي، ولا تغتري بإعلانات الحب والغـرام، كونـي عاقلة، ابعثـي له غدًا رسـالة موجزة مع أخـي مصطفى فهـو صغير، ولا يفهم، أو حتـى في البريد المسـجل ولن تندمـي.. أرأيتِ الإنجـازات.. لوحت بأصبعها الذي تلوح فيه دبلة زواج، وخاتم الشبكة في زهو..

بقيت كلمات فاطمة ترن في خاطر شذى الجزع، أينما توجهت، قرع الأطباق في المطبخ يقول أربع غرف، وصوت الغسالة يدور في حلقات الوهم: «أرأيت الإنجازات»..

ثـم خرجـت تنتظر أن تـرى عصابة مصطفـى الصغير،

سيمرون من هنا ككل يوم لإزعاج عنزة المجنون..!

أين أنت اليوم يا مصطفى؟

انتظرت طوال الصباح حتى اقتربت الظهيرة، وهي تصم أذنيها عن نداءات الأعمال المنزلية.. لا غداء اليوم، ولا عشاء ليضرب أهل البيت عن الأكل حتى أُرسلَ رسالتي المهمة لأحمد.. صوت المجنون المسكين يتعالى: «والله سأخبر أمكَ».

لقد جاء العفريتُ الصغير.. مصطفى تعال إلى هنا..

خالة شذى، والله لستُ أنا من رمى الحجر، الأطفال يتدافعون للهرب، وقد أدّوا أهم طقوس اليوم رشق عنزة بحجر أو اثنين..

مصطفى تعال أريد منك خدمة..

يقترب مصطفى مغرورق العين، وهو ينهنه..

أهذه مقدمة طللية للضرب في المساء.. لستُ بمشتاقٍ للحذاء.

مصطفى أتعرفُ بيت أحمد؟

الحمد لله مهمة للكبار..

جاءتكَ يا محظوظ الحلوى، وابتسامات الرضى، والأهمية المفاجئة..

ـ نعم يا خالة..

سأعطيكَ رسالة أوصلها إليه.. حافظ عليها، وسأكافئكَ حين تعود أعْطته الورقة المعطّرة، مطوية قطعة من الخوف ترجوه سرّا أن يطمئن صاحبتها، كلمتين: حبيب الأمس، والغد أحمد.. لنعقِد القِرآن، ونتزوج رجاءً في أقرب فرصة.. أنا خائفة مِن الأحداث الأخيرة، وأريد أن أطمئن على مصير هذا الحب، حبنا يا أحمد.. لنتزوج قبل أن يحول بيننا الموج.. ما رأيك؟!

فتح أحمد رسالتها، فتضوّعت الأرجاء بعطرها المشتاق.. تنبهت حواسه، ما أجمل هذه الرائحة..!

أجمل وردة في العالم تراسل نبتة الصبار، لأقرأ ما كتب الزهر، التقط من الدرج قلمًا، وهو يفكر بصوت عال: متشائمة كأبي تمامًا، السياسة تسمم الأجواء والحياة، ثم كتبَ إليها في أعلى ورقتها الجواب.

قام مع مصطفى ليمنحه أجرة الطريق.. قِطعة حلوى من المتجر المجاور مع الرسالة، مشدّدًا وهو يهمس في أذنه.. اعطها لشذى فقط، فاهم يا مصطفى.

ـ فاهم يا عمي.

انطلـقَ مصطفى يسـابقُ الرِّيـح برسـالة مجهولة، ذات قيمـة عنـد أصحابهـا، وأعظـم مـا خلـق اللّٰه، مصّاصة، غاية الغايـات، الكمال، اليوم الجميل الذي تبهجه حمرة الحلوى..!

ـ كم أحبكَ يا عمي أحمد..

أيضًا أحبُّ شذى..

وأحبُّ أمي، وأحب أختي فاطمة وأبي..

وصديقي محمد، ومعلمة الرسم..

لائحـة مـن المحبوبيـن على قلبـه الصغير البـريء.. من الذي لا يحبه مصطفى، ويحبُّ مصطفى..؟

روحٌ شـفّافة لم تعرف البغض، ولا مزالق العَطب، حتى إنـه يحـب المجنـون عنزة.. طـرق البـاب الأسـود الكبير

ففتحت عنه صاحبة الشـأن بنفسـها ، وهي تبتسم لمشروع الملاك الواقف بالباب.

أهلًا.. ماذا قال لك..؟

أعطانـي مصَّاصـة ، وهـذه الورقـة لـكِ.. أخذت شـذى الورقـة ، وهي تتلمس مـكان أصابع أحمد علـى الورق ثم قبّلت الصغير على خده، وناولته طبق حلوى كاتو جميل.. مشـدّدة هيّا إلى المنزل، سـلم على فاطمـة والوالدة، هيّا تأخرت والشـمس حارة عليك.. لم يجب مصطفى، مكان شـفاه الخالة شذى يحرقه.. حمرة الشفاه هذه أبهجت يومه أكثر من حمرة المصاصة.! من قال أني مشـروع ملاك أنا مشروع رجل..

شـدَّ قامته الصغيرة ثم أرهقتـه الأفكار الجدية فرمى كل شـيء وراء ظهـره، أنـا صغيـر، والصغار مـن أعظم مهاراتهم أنهـم لا يفكرون لأكثر من دقيقة، ولا يحملون الهموم إلا لثواني.

انطلـق يحمل طبق الحلوى، وقد وقع في غرامه مؤقتًا.. هيه.. كاااتو..

أطبقت يد شذى على الورقة العزيزة، وهي تمر على والدتها فنادتها..

■ شذى: نعم يا ماما

■ ما بكِ مرتبكة..

■ يا إلهي وقعتِ يا شذى في ورطة رادار الوالدة..

(لا شيء يا أمي.. فقط أحسُّ بتعبٍ مفاجئ)

■ سلامتكِ، ارتاحي في غرفتكِ، معي أم محمد تساعدني، وسأرسل لك شاي واسبرين معها..

■ جاء الفرج.. طيب يا غالية.. أسرعت الخطو إلى غرفتها، وتجاوزت فوضى الوسائد على السرير لتنفرد بالرسالة، فتحتها بأصابع واجفة، فلاحظت أنها نفس رسالتها مكتوب على أعلاها، الرد المقتضب:

حبيبتي شذى: لا داعي للاستعجال فما يزال أمامي الكثير من التحضيرات العقد والزواج سيكونان في الوقت المحدد سلفًا، فلا تقلقي المُخلِص أحمد.

قرأت كرامة شذى الرسالة؛ فأحست بأمواج

الانكسار تأخذها بعيدًا عن أحمد.. في قلب شذى طبول بدائية تُقرَع، ومصاص دماء لا يقنع بما دون لوك كبد السَّافل.. أهكذا أعرض عليه نفسي فيرفضني؟ منك لله يا فاطمة أنتِ ونصيحتكِ الغبية، واللّه ليدفعنَّ ثمن الغرور، أليس لديه عقل يفكر فيه فينظر إلى الواقع بعقلانية، ويبتعد عن المثالية المفرطة، والتي تظهر صاحبها بأنه شخصية مغرورة، ونرجسية، يحب تضخيم ذاته، ولو على حساب الآخرين، وجرح مشاعرهم؟ ألا يعي بأنَّ ما أصبح اليوم ممكنًا، قد يكون غدًا صعب المنال؟! ألا يفكر بأنني قد تجاوزت الأعراف القبلية، وتجرأت بطلب الزواج حتى نعيش لحظة من الزَّمن في سعادة وحبور قبل الانفجار الكبير، والذي أراه قريبًا؟!

ولكن يبدوا أنَّ لديه حسابات أخرى، لا أريده زوجًا، «حصحص الحق»، التقطت الهاتف على الفور، واتصلت ببيت أحمد دون مبالاة بمن سيرد.

أجاب الخادم: قالت في صوتٍ آلي: نادي سيدك الصغير أحمد قل له شذى تريدك.. جاء أحمد، وهو يعجبُ من الاتصالِ المفاجئ.. ما هذه بعادة شذى، ولو علمت أمها

لعابت فعلها..

■ نعم يا شذى لعلكم بخير

■ أحمد؟

الصوت الجميل ينبعثُ من الهاتف.. نغمة أحمد المفضلة، ومطربته الشخصية..

■ نعم أنا أحمد..

■ أتصلتُ لأخبرك بأنَّ كل شيء بيننا انتهى حتى يقضي اللّه أمرًا كان مفعولًا.. ألقت بالسَّماعة، وهي تنهج، ذل الحرائر صعب.. نحن بنات طارق، نمشي على النَّمارق، ثم تكورت كقطة جريحة.. تأبى البكاء قبل أن تمزق، وتخدش المعتدي، سترى يا أحمد، سترى.

أعاد أحمد الاتصال، فلم تجب، واصل الاتصال كمجنونٍ، فلم تجب.. فكَّر هنيهة، من في هذا الكون اليوم لا يملك هاتف محمول؟ أحسَّ أنه يختنق، وشعر برغبة في أن يخرج من السماعة إليها ليشرح لها رسالته التي أغضبتها..

يا الله، أهكذا يحيل سوء التفاهم العبارات البسيطة لكلماتٍ متقاطعة، وأحاجي صعبة..؟!

ماذا أفعل، أفٍّ للحب.. الأحباء هم الصغار الذين نربيهم في قلوبنا ليكبروا ويمزقونها.. شذى كبرت في قلبي، ثم استحالت عفريته تركب الشهب، وتمزّق النّياط بكلمة، وهمسة، ولفتة، ماذا أفعل..؟ يا لطيف، الطف بعبدك الضعيف.. لقد تغير كل شيء، فالكآبة والحزن هما المسيطران على المشهد! والأفكار السوداوية جثمت بقوة في عقل أحمد، حتى أصيب بالهذيان.

كنا نقرأ في كتب السِّير، والأخبار عن أُناس شربوا من كأس العشق فثملوا، وبعد القطيعة فقدوا عقولهم فظننا أن ذلك ضرب من الخيال، وفيه مبالغة واضحة حتى رأينا ذلك بأنفسنا!

فقد يفقد أحدنا حياته، ويدخل في موت سريري إن سمع من حبيب له كلمة جارحة تكسر خاطره، وتحطّم قلبه، فكيف بالقطيعة والهُجران أليس الأمر أشد وأنكى؟

إنَّ وقـع القطيعـة علـى القلـوب كالرصاصـة القاتلة، وسـيظل جرحهـا محفـورًا لا يندمـل بسـهولة، إنـه الحب الصافـي والصـادق، الحـب الشـفاف والمخلـص، الحب الـذي يخالـط القلب فتتفجَّـر فيه المشـاعر فتجرف كل الصُّور السلبية.

راقبت شـذى أحمـد بصمت، واسـتمرّت كالعادّة في تدويـن يومياتها في مذكراتها الخاصة، فتارة تكتب عن احتماليـة وقوع الانفجـار الكبير، والذي تُشـبّهه بالقنبلة النووية التي سـقطت على (هيروشيما اليابانية) فدمرتها، وأهلكت الحرث والنسل، وما زالت تعاني إلى اليوم.

وتـارة أخـرى تكتـب عـن أحمـد، وكيـف جـرح مشـاعرها، وأطفأ نار شوقها له، وكسـر خاطرها.. لقد تميـزت بحـدسٍ قوي، وبصيرة ثاقبة حتـى وُصِفت من قِبل صديقاتهـا (بالحكيمة) فقد رُزِقت عقـلًا ناضجًا، وقولا مُسدّدًا، بخلاف أحمد فقد كان رقيقًا لينًا واسع الخيال، قوي العاطفة يتعامل مع الآخرين بكل لين ورفق وسماحة.

فـي منزل أحمد لاحظ والده التّغير المفاجئ الذي طرأ عليه.

فتساءل:

هل فقد أحمد عقله؟

هل أصيب بمسٍّ شيطاني؟

لماذا حطّم غرفته، وكسّر أبوابها؟

أما الأم فقد أصيبت بحالةٍ من الهلع!

لعلّه مسحور، ولعل جارتنا هي المسؤولة، فقد سمعتها يومًا تذكره، ولعلها مُعجبة به!

الأب.. لا يعرفُ حقيقة ما حدثَ لأحمد إلا صديقَ طفولته المقرّب نواف، فهو ملازم له في أكثر أحواله، لنتصل به، لعله أن ينفعنا، ويأتينا بالخبرِ اليقين.

أمَّا شذى فقد تغيرت ملامحها، وعلت الكآبة وجهها، ولم تُخبر أمها بما حدَث بينها وبين أحمد.

■ الأم هل هناك ما يقلقكِ يا شذى؟ أخبريني.. شذى: لا

شيء، فقط أعاني من الأَرَق، وقلة النَّوم منذ ثلاثة أشهر.

■ الأم: لعلّ أحداث القريّة المتصاعدة اثّرت فيكِ.. شذى: استغلت سؤال أمها..فتفاعلت معها نعم، نُذر الفوضى في القرية يُقلقُني، ويُكدّر خاطري

■ الأم: لا داعي للقلق، وقد تعود المياه لمجاريها قريبًا.. لا يا أماه، الأحداث ليست بسيطة، بل جسيمة، والانفجار الكبير سيحدث قريبًا!

الأم: الانفجار الكبير! شذى: نعم إنه انفجار يُشّبه زلزلا مدمّرًا، وسيشل القرية كلها.

■ الأم: لماذا التشاؤم؟ شذى: لستُ متشائمة، بل قارئة للأحداث، وفق معطيات محددة.. الأم: معطيات محددة!

■ شذى: نعم، المعطيات تدفعنا نحو الترقُّب بوقوعِ الانفجار الكبير

■ الأم: اشرحي لي ببطء، لم أفهم كلامكِ يا شذى!

شذى: يا أماه.. الإنسان الحكيم ينظر إلى المآلات، ويعمل وفق السُّنن الإلهية حتى يكون على بصيرة،

فـلا يتعثَّر فـي منتصـفِ الطَّريق!، ومـا أحـوج مجتمعاتنا المتصارعة، والمتحاربة إلى صوتِ العقل، والمنطق بعيدًا عن التطلّعات الزائفة، والأصوات المتشنجة.

■ الأم متفكرة.. فهمتُ قصدكِ، ويبدو أنَّ الأيام حُبّلى بالمفاجآت، وأنَّ الأحداث الجارية ستكون بداية لخراب القريـة، وتدميرها فالمجتمعـات القويـة، والمترابطة لها تأثيـر إيجابي على حيـاةِ المجتمعات؛ فيعيـش النَّاس فيها مطمئنين آمنين، يسودهم الحب، وتجمعهم أرض الوطن، فيدافعون عنها بعزم لا يهين، وبإرادة لا تقهر.

■ شذى: هذا ما أصابني بالأرق، وجعل جسدي نحيلًا، ووجهي شاحبًا فالانفجار المرتقب يبدوا مخيفًا، وقد يلتهم الجميـع، وهناك مـن يتربص بالقريـة المسـالمة والهادئة لمهاجمتها، وتدميرها.

■ الأم: عيـن العقـل كلامك، ونعم الـرأي، لكن من سيسمع؟

■ شـذى: الخلاصة: كل سـقوط للدول يسبقه تشرذم يضـرب النسـيج الاجتماعي الواحـد، فتبـدأ العصبيات،

والعرقيات تطفو على السـطح، فيضعف الولاء العام لتربة الوطن، فالتّكتّل العِرقي يقوى، والتعصب الفئوي يشتد، والتخنـدق الحزبـي يتمـدَّد أكثـر حتـى تتخلخـل الجبهة الداخلية؛ فيحدث الانهيار المفاجئ، والسُّقوط المدوّي.

أما أحمد فقد شفّه المرض، وأتعبه الهجران

■ نواف: أحمد سـألتكَ باللّه أن تخبرني ما بك.. ألسـت صديقك، وشقيق روحك كما تقول لمَ تخفي عنّي وجعك.. جربني قل لي ما بك، وسأساعدك مهما كانت ورطتك..

■ أحمد: لا شيء يا صديقي مما تتصور.. فقط أنا أحسُّ بإرهاق، وببداية حُمّى ربما..

■ نواف: لا أصدقك، أوِ لا أعرف صديقي.. لستَ أحمد الـذي أعرفـه.. ملامحـك، مشـيتك، تفاصيـل جسـمك، وكأنـك في التسـعين، وتخطـو دون عـكاز.. لقد أخفت والـدك لدرجة أنه اتصل بي، ودعاني لأحاول إخراجك من هذه الحالة..

■ أحمد: سـأخبرك لكن لا تسخر مني رجاء، فإني لا أحتمل المزاح ليس عندي مكانًا أضعه فيه..

■ نـواف: لـن أسـخر منك، بلا شـك، وارتسـمت على وجهه ابتسـامة عابرة.. كم أحبك يا نـواف، رفيق الروح، وبطـل ملاحم الصِّغـر، نتف العصافيـر، تعذيب القطط،

قطـع الـدروب الموحلـة، مسـتودع السِّـر، وحامـي حمى اللافضيلـة، والفضيلة على حد سـواء..! أينما كنت، أنت ظلي يا صديقي، قلبي يؤلمني للغاية شذى تركتني..

■ لماذا تركتك؟ ماذا فعلت؟

■ أرسـلت لـي تريدنـي أن أسـتعجل بالـزواج فرفضت.. لماذا؟ بالفعل أنت غشيم، ولا تفهم في عالم المرأة.. كنت ستسأل الخبراء.

■ نـواف لا تنسـى أنك وعدتني ألا تسـخر منّـي.. أُغرِق نـواف بالضّحـك، وغيـظ أحمـد يتعاظـم.. حمـار بعمـر السـنتين يعـرف أنّ رفـض عـرض زواج من الحبيبـة بمثابة إعـلان حرب على دولة عظمى، شـذى.. الدولـة العظمى، وأنت دولة بالكاد ترى على الخريطة.. ستقصف بالنووي، والكيماوي انتهيت يا صديقي العزيز.

■ نواف.. ماذا أفعل؟

■ بصراحة مثل هذه المواقف يستعصي فهمها بالمنطق الأنثـوي، شـذى الآن تعتبـرك لا تحبهـا، والدليـل رفضك الـزواج مهمـا كانت الأسـباب، البنات كائنـات رقيقة،

قواريـر سـهلة العطب.. القلق يأخذ بتلابيـب عقلي، والحل يا نواف؟

■ بصراحـة يجب أن تمثّل فيلمًـا هنديًا فيه الكثير من الدمـوع، والأحضـان وضـرب الأشـرار، وضعـك صعب.. نواف ارحمني من هذه التعليقات السّخيفة.

■ قـل لـي: ألم تعقـدا القِران.. لا لا لـم نعقد بعد، فقط تمت الخِطبة.. بسـيطة تخلص من هذه السـلبية والكآبة، وحـاول أن ترضيهـا.. المشـكلة شـذى فـي حالـة نفسـية محيـرة أصبـح طبعهـا حـادًا بعـد أن كان رقيقًـا ولينًـا، والخوف هاجسـها.. حالتها تشـبه حالة أبي.. متلبسة بجني اسمه الانفجار الكبير.

■ نـواف: يـا إلهي، ما الذي سـينفجر ما هـذا الانفجار الكبير؟

■ أحمـد: منـذ انـدلاع الفوضـى فـي القريـة، وشـذى تؤكـد، وتحلف أن كل هذا مـن التخريب الممنهج، وأن وراء هـذه الأحـداث الصغيـرة المتلاحقـة مكيدة عظمى لم تسـتبن بعد.. نواف: لعلها مريضة مـن التوتر.. عندها ما

يسـمونه اضطراب ثنائـي القطب قرأت عنـه مرة؛ فعجبت من انتشاره بين النَّاس.

■ أحمد: اضطراب ثنائي القطب!

■ نواف: مرض نفسـي يتسبب في تغيُّر الحالة المزاجية للإنسـان من حين لآخر.. أحيانًا تراه سـعيدًا، وفجأة يشعر بالاكتئاب والحزن، والعكس صحيح.

■ أحمد: اتقِ اللّٰه أقلقتني زيادة.. نواف: لا تقلق سأحاول أن أصلـح بينكما.. لا يهون علـيَّ أن أراك في هذه الحالة.. كمـا أنَّ والدك وثق بي، اطمئن مؤسسـة نواف للخدمات العاطفية بخدمتك يا قيس هههه، وأخيًرا ياسـمين الروح تضوَّع..

■ نـواف: سـاعة وأجـد طريقـة للاتصـال بهـا اطمئن، موضوعك يسـير.. شـذى تحبك فقط تحس أنك جرحتها، وكسرت خاطرها.

أحمد: ما أجملك يا صديقي، فقد أسعدتني بكلامك، وأعدت النبض لقلبي..

ليت الناس يعرفون قيمة الصديق الوفي.. فهو واللّٰه عُملة

نادرة تُصرف بأسواق الدنيا والآخرة.. كم من رهين لحفرة تذرو عظامه السافيات، وصديقه يدعو له ويصل أحبابه، كم من رصاصة سكنت صدر أحدهم بدلًا عن صديق..!

إن البقاء على العهود والوعود بروق الغيث والسحب، الهاميات لا شيء أمام همة وفي، يقطع يباب البطاح؛ ليمسح على جرح رفيقه.

يمَّـمَ نـواف شـطر المدينـة قاصـدًا بيت شـذى؛ فقطع الطرقات سـيّرا على الأقدام، وفي منتصف الطريق، وجد خاله التّاجر فجأة، وهو يردد إنا لله وإنا إليه راجعون!!

■ نواف: ماذا هناك.. لا تقل إن هناك المزيد من ضحايا هذا الجنون..

■ التاجـر: للأسـف بلغنـي للتو أنَّ هناك مـن قتل الحاج شفيق، والد صديقك أحمد..

■ نـواف: وقد دارت به الأرض، يـا الله يا الله، لك الله يا أحمد، أي كارثة يمكن أن تحل عليك أعظم من هذه.. نهـض مـن رقدتـه وعـاد أدراجه، يجـب أن يكـون بجوار أحمد، ركض بكل قوته، يسـابق الزمن ما هذا المسـاء الأغبر، أحقًا قتلوك يا حمامة القرية؟

أحقًا سفكوا دمك الطَّاهر؟

أحقًـا اغتالـوا قلمـك النابـض، وكلمتـك الصَّادقـة، وقلبك الطيب.. ؟!

أحقًّا قتلوا عقلك النَّاضج، وفكرك النير.. لا أصدق، يقولون مات، والطيبة لا تموت، الخير لا يموت، أهكذا يدسون في التراب الأنجم الزاهرة، وحكايات الجدات الرصينة..

الحاج شفيق حامل لواء الرقة والمنافحة عن عالم أفلاطوني الملامح، قتلوه بدم بارد.. يجب أن يكتبوا على قبره.. عاش من الطيبين، ورحَل على يد الأشرار.. هل هذه هي ضريبة قول الحق؟

هل عموده الأسبوعي في الصحيفة هو سبب قتله؟

هل مُثيرّي النَّعرات الطائفية هم من قاموا بقتله؟!

اللعنة عليكم أيها القتلة، فقد قتلتم كل شيء جميل، قتلتم العلم، والقلم، والمبادئ، والحب، والفرح. فما إن وصل إلى القرية إلا وهي تموج كموج البحر!

فوالد أحمد من الشخصيات الثقافية الكبيرة في البلد، لها ثقلها وحضورها الثقافي والسياسي، صرخ نواف بصوت عال، اللعنة على القتلة المجرمين، وتوجّه إلى بيت صديقه أحمد.. يا الله صراخهم، وبكاؤهم،

يقطّع القلوب.. من شـدة حزن أحمد على والده أقسـم باللّه أنه سينتقم من القتّلة شرّ انتقام، وسيقتص من الكل فردًا فردًا، حملَ سـلاحه، وبـدأ يبحث عن العصابـة المجرمة التي قتلت أباه غدرًا، وهو في طريقه إلى المسـجد لصلاةِ الفجـر، بـدأت بعـض الأخبـار تتسـرّب إلى الإعـلام؛ بأنَّ العصابة المتهمة بقتل والده؛ هي نفسها العصابة التي قادت الفوضـى فـي القريـة، وأخافت السَّـبيل، وقتلـت المارّة، والمفاجـأة أنها نفس العصابة التي اجتمعت مع اللجنة التي شـكلّها شـيخ القرية، وتعهّدت بعدم إثّارة المشاكل مرّة أخرى؟

وصلـت الأخبـار إلـى أحمـد؛ بـأنَّ العقّـل المُدبّـر لقتل والـده، ومن أصـدر الأوامر هـو أحد المسـؤولين الكبار في قصر الشـيخ! وهو مسؤول اللجنة التي حاورت العصابة الإجرامية!

عـزم أحمد علـى الثأر لمقتل والـده، وخطّط لقتل هذا المسـؤول، وقبل التنفيذ بسـاعات استشار صديقه نواف.. نـواف: لا تتهـوّر يـا صديقـي، فعاقبـة فعلتـك سـتكون كارثية.. هل تُريد أن تحكم على جميع أسرتك بالإعدام..

أليس الأولى أن تتريّث،

وتنظر بواقعية بعيدا عن التّهوّر والطّيش..

■ أحمد في لوعة وعناد: سأقتص من القتّلة، ولو قُتلت الأسرة كلها.. فما فائدة الحياة بعد موت أبي.. نواف: هذا الكلام ليس من الحكمة في شيء، الإنسان العاقل، والحكيم هو من ينظر إلى الواقع بعقلانية.. القتل لا يجلب سوى القتل.. وأنهار الدم حوبها على من يجريها فتعقّل وتأن رجاء..

■ أحمد: ولكن بهذه الطريقة سيضيع دم والدي.. نواف: لن يضيع بإذن الله، وسيأتي الوقت الذي سأكون بجوارك، ونقتص سويًا لوالدك، فما عليك الآن إلا الصبر، ولنذهب معًا إلى قصر الشيخ، نطالبه بمعرفة هوية القتلة، فهذا هو الحل.. اسمع مني.. خذ معك سلاحك تحسبًا لأي طارئ، وهيّا بنا..

بعد وصولهما إلى قصر الشّيخ.. طالباه بالقبض على القتلة فوراً، وإنزال أقصى العقوبة عليهم جزاء لما اقترفوه من جريمة يندى لها جبين الإنسانية، وعدهم الشّيخ بذلك،

وأمر اللجنة السريّة في القصر بمتابعة الأمر، والقبض على القتلة في أسرع وقت ممكن.

علمت شـذى بحادثة قتل والد أحمد؛ فاعتراها الحزن، وبكـت عليـه بـكاء شـديدًا.. وأخبـرت والداتهـا بالخبر السيئ، ولكنها لم تخبرها بما جرى بينها وبين أحمد!!

شـذى: كارثـة أن تُقتل هذه العقـول الناضجة، ويُترك الرعـاع.. مصيبة أن تُسـفك هذه الدمـاء الطاهرة، ويترك الأراذل الأنجـاس يصولـون، ويجولـون بـدون حسـيب، أو رقيـب! يـا والدتي لقـد رأيت فيـه حين التقيتـه الدماثة والإخلاص، والتفانـي، والجد، والمثابرة.. الوالدة: إنا لله وإنـا إليه راجعون.. أصبحنا نعيش في عالم الوحوش، وهنا رأت شذى أنَّ من الحكمة أن تتصل لأحمد، وتعزيه بموت والـده، وأن تسـامحه علـى الخطأ الذي ارتكبـه بحقها، فالكارثـة التي حلت عليـه كبيرة، والمصيبـة جلل، ولا يمكـن أن يُترك وحيدًا في هـذا الموقف الصعب؛ أخذت التلفون، واتصلت لأحمد..

■ السلام عليكم أحمد.. شعر أحمد بخدر في أعصابه؛ فالصوت الدافئ سـرى فـي عروقـه، وكأنَّ هذا الصوت معروفًا.. البلابل تطير فوق الأرض المحروقة..

■ شـذى: عظم الله أجرك، وأحسـن عـزاءك، وإنا لله وإنا إليه راجعون..

■ أحمـد متلعثمـا الحمد لله، الحمد لله.. صوت شـذى الناعم يسري في أوصاله، ويخفف من وطأة حزنه، وكأنه إبرة مهدئة.. كن قويًا يا أحمد، وسـأكون بجوارك فأنت نبض قلبي دومًا.. أحمد: أرأيتِ ما فعل الجبناء.. سـأنتقم يا شذى سأنتقم أعدكِ..

■ شـذى: أرجوكَ يا أحمد أنت عماد أسـرتك الآن، من لنـا بعدك.. لا تفجعني وتفجع والدتـك بك تعقَّل، ولا تتخذ قـراراتٍ مرتجلـة.. أحمد: أنا لا أسـتطيع تـرك قاتل والدي دون عقاب، ولكن سـأحاول أن اضبـط غضبي حتى أرى نتائج التحقيقات.. شـذى: أرجوكَ انتبه لنفسك من أجلي يا أحمد.. اتفقنا..

■ أحمد: هل ما زلتِ غاضبة مني؟ شـذى: أبدًا يا أحمد أبـدًا، وقريبًا سـنرحل مـن هنا، ونترك كل هـذا خلفنا، ونتـزوج.. أحمد: لـن تتركيني مهما حدث.. شـذى: أبدًا يا عمري.. أنا لكَ وحدكَ، وباقية معك في الضَّراء والسَّرَّاء.

■ أحمـد ، وهو يغالب غصة.. شـذى برغم حزني القاتل على والدي؛ إلا أن اتصالكِ مسح على نفسي، وأعاد توازني من جديد شكرًا لك.

■ شـذى.. استأذنكَ الآن لم يرقأ لنا جفن منذ البارحة... أحمـد منهمك بالتفكير.. ما أدراك يا أحمد أنه سـيأتيكَ الفـرح على صوت العويـل، والأمل الجميـل.. الوالد ركن الروح، وصمام الثقة.. لم أر والدتي تبتسم ابتسامات جوفاء كهـذه!! هل يا ترى تتنبه للخصلة التي تطل في فجيعة من حجابها؟ لماذا يصرون على إقامة العزاء..؟!

الآن تصل جحافل لشـاربي العصير، والقهوة المرة بعد المرة.. ليت من يفقد عزيز يأتي من يشرب ألمه، من يمحو مـن ذاكرته آخر لمحة لميتـه، الكفن الأبيض، الصوف يسـد مجرى الهواء لحبيبـك، والقبر، وكأنه يسـخر من حزنـك.. فـرح بالليالي المـلاح القادمة للـدود والمجهول، وأخيرًا دبَّت الحياة في الهاتف الصَّامت.. اتصلت شذى بعد صبر السـنوات، أو الأسابيع لا أعرف.. ما من عاشق يسير علـى حدِّ سـكين الفراق يسـتطيع حسـاب الوقـت.. قلبي ينبض في تردد من يهتدي لطريق واحد، اسـمه الحزن في

البعد ، النبض المشنوق..!

يُستحسن أن أبدأ من الآن في تعلم الرقص، وقرع الطبول فهذه انبلاجة فجر ليس بالكذوب.. !

لقد كان اتصال شذى بمثابة ولادة جديدة، فقد بدّد حزني، وخلصني من الأغلال والأفكار المظلمة التي قيدت حركتي، ومنعتي من اتخاذ القرار السليم في قضية والدي، ما أجمل صوت الحبيب؛ يتساقط كرذاذ مطر من نور، وعافية على القلب اليائس فأزهر فجأة..

لا يوجد في دنيانا البائسة قبح مروع أكثر من موت الحب، من يخسر حبيبه يعش أبدًا ، وهو يتنقل مع جيفة يأبى دفنها.. يستحيل ما كان، وما لم يحدث رغم الأماني، والضحكات الغريرة بئر صديد مهما امتاح منه العابرون لا ينفذ ، ولا يروي غلة.. ليت الحُساد يعرفون قيمة الحب الصادق، ويتركون المحبيّن وشأنهم.. ليتهم يعيشون في كوكبٍ آخر غير كوكبنا ، ويتركون الناس تعيش في أمنٍ وسلام..

ليتهم يُوزّعون الورود على الآخرين بدلا من البارود..

أخبـر أحمـد صديقـه نـواف باتصال شـذى له، فسُـرّ نواف، وأثنى على فعلها النبيل

■ نـواف: مَن مثلـكَ.. ذنبك مغفور عنـد الحبيبة دون أن تتبعه الحسـنات، حقيقة هـذه الفتاة من طينة طيبة، وذات عقل راجح.. تمسـك بها.. أحمد: أرأيت كيف تنبأت بنتائج الأحداث بعد نذر الفوضى التي لم نعرها بالاهتمام؟

■ نـواف: فعـلًا إنهـا قارئة ماهـرة للوقائع.. تشـبه عمي رحمه الله..

■ أحمـد: كنـت تقـول أنهـا مريضـة نفسـية، وكنت أعجب لهلعها، ولما يكتبه الوالد رحمه الله.. الظاهر أننا المرضى.

أليست الجبال من الحصى؟

أليس النَّار من مستصغر الشَّرر؟

أليس الحرب مبدؤها كلام؟

ليتنا تنبهنا قبل الذي جرى، ومنعنا الدّخلاء من إشـعال

الحرائق..

■ نـواف: هنيئًا لك يا أحمـد بها، فهي كنزك، ومالك المُدّخـر، حافـظ عليها رجـاء.. أحمد: أنـا أحبها كما لم أحب من قبل فلن أتركها أبدًا.

■ نـواف: إن شـاء اللّه.. قم بنا نذهب إلى قصر الشـيخ؛ لنعـرف تطـورات التحقيق.. أحمـد: ينادي وقـد رفع صوته سـأخرج يا أمي.. في القصر رفعت اللجنة السـريّة تقريرًا، بأنَّ الدلائل والقرائـن تؤكدان؛ بأنَّ من أمر العصابة بقتل والد أحمد، وسهّل لهم التخفّي، والهروب هو مسؤول اللجنة التي اجتمعت مع العصابة في بدايةِ الأحداث.. تعامل شـيخ القرية مع هذه الأخبار بسرّيّة تامة، وبدأ يراقب تُحرّكات المسـؤول، واتصالاته، وبعد متابعة حثيثة، ورصد مُستمر تأكّـد لـه؛ بأنه من يقـود العصابـة المجرمة فـي القريّة، ويسهّل تحركاتهم، وهدفه من وراء ذلك.. اشعال الحرائق فـي القرية، حتى يضـجّ الناس، ويطالبون بتنحِية الشّـيخ؛ لأن الفوضـى فـي عهـده تصاعدت بشـكل كبير، وغير مسـبوق.. فحينهـا أدرك خطـورة بقائـه في أروقـة القصر؛ فأصدر أوامره السريّة بقتّله غدرًا!!

وفـي إحـدى الليالـي المظلمـة سـمع الأهالـي إطلاقًا كثيفًا للرصاص لم يُسـمع له مثيل من قبل، بدأ الخوف، والرُّعـب ينتشـر في الشـوارع، الجميـع ينادي يا رب سـلِّم سـلم..صعد تاجـر القريـة إلـى سـطح منزله، وهـو خائف مرتبك ويردد: يا رب ألطف بهذه القرية المسـالمة الهادئة.. يكفيها مشـاكل، وأزمات لقـد كانت المفاجأة صادمة ومؤلمـة له..فقـد قُتل مسـؤول كبير في القصـر له ثقله، ووزنه؟

ما هذه الكارثة التي حلّت بنا؟

ما هذه المصيبة التي أفسدت علينا حياتنا؟

إنهـا حادثة شـنيعة بـكل المقاييس، وسـتكون بداية التّشـرد، والهـروب الكبير..لقـد قُتِل الكثيـر والكثير مـن الأبريـاء، وحتى المثقفين لم يسـلموا مـن القتل..كم حذّر المصلحون من هذا السـلوك المتّهور، والاسـتخفاف بالآخرين، وخطر اندلاع الحرائق؟

لمـاذا لا نفـوّت الفرصة على الدّخـلاء، ونوحد صفنا، ونجمع كلمتنا قبل أن نعض أصابع النّدم؟

أليس الأمر يحتاج إلى وقفة حاسمة قبل البكاء على الأطلال، والهروب الكبير؟

أليس الأمر متعلق بهوية أمة، ومستقبل الأبناء؟

إن لم يتدخَّل الحكماء في اللحظة الفارقة، وإلا سيعضّون أصابع الندم فالنار ستحرق الجميع، وسيعرفون قيمة الأمن.. يا ليت قومي يعلمون.

فـي القصر سُـرّبت بعض الأخبـار؛ بأن الشّـيخ هو من أمر بقتل المسـؤول الكبيـر، وعندما واجهوه بذلك حاول أن يُنكـر، ولكن بعد فوات الآوان.. فقد نشـر المسـرّبون الأدلـة في الصُحـف المحليّة، والتي تُثبِـت؛ بأنه من أصدر الأوامر بقتله غدرا، وهنا أدرك؛ بأن القصر مليء بالخونة، وأنه وقع في ورطة كبيرة!

في الأيام التالية للحادث لم يحاول أحمد أن يخفي فرحته بقتل المجرم قاتل والده.. بل بشّر والدته المفجوعة، وبشّر شـذى.. رفـع السـماعة، ولم يزد مـن فرحته علـى المجرم قُتـل المجـرم، قُتـل المجرم.. شـذى: الحمـد للّه، الحمد للّه، يسـتاهل القتل، ويسـتاهل أن يُصلب تعزيرا فجريمته كبيرة، وفعله شـنيع.. أحمد: في أسـى.. قتلـه لن يعيد ما راح، ولكن العدل، والإنصاف يقتضيان القصاص منه..

■ شذى: هذا جزاء صبرك، وتعاملك بعقلانية.. حفظك اللّه بحفظـه، وأبعد عنك أهل السـوء.. أحمد: هل تخافين عليّ؟

■ شـذى: في خفر.. لن أجيبك الآن، حافظ على نفسك رجاء..

دخـل نـواف الغرفـة مهلـًا.. الحمـد للّه قُتـل العقـل الكبيـر، والمخطط الخطير، فليهنأ قلبـك، ولتنم قرير العيـن يـا أحمـد.. تزوج شـذى، وامـضِ في حياتـك.. نريد أن نفـرح بكمـا؛ ثـم أردف قائلا له: يجب عليـك أن تُعجِّل بالـزواج فالأوضـاع لا تطمئن أبدًا، وأن توطِّن نفسـكَ على تحمّـل العقبـات، والتغلـب عليهـا إن حدثـت، ومـن غيـر المعقـول أن تجازف بشـذى مجـددًا.. رد أحمد شـذى هي حبيبة الـروح، ووهج القلب، والابتسـامة الأولى.. ثم جلس مع والدته، وفكرة ترتيب موضوع الزواج تُرّبك كلماته..

■ أحمد: أنا أريد أن أفاتحكِ في موضوع لكن أخشـى أن تسيئ فهمي..

■ الوالـدة: بدون أن تتكلم.. عجّـل بالعرس يا بني فقد كنت سأفاتحكَ في ذلك.

■ احـسّ أحمد بالخجل، وبابتسـامة تشـرق على جبينه المقطّب، أطال اللّه عمرك يا أمي الحبيبة..

■ الوالـدة مبـارك مقدمًا شـذى مناسـبة لـك، ووالدك رحمه الله كان يرغب في إتمام الزواج.

أمـا فـي القريـة فقـد بـدأ المنـاخ العـام يتغيـر نحـو الأسـوأ ، وبدأت الأصوات ترتفع، وتطالب بتنحية الشيخ، والانتقام مـن القتلة المأجورين.. الشـائعات كأنها تصدر عـن مصانـع متنقلـة تتكاثر، وتنتشـر فـي كل مكان، وبـكل بيـت كلها تتحدث عن انقلاب وشـيك على شـيخ القريّة، وحتى السياح، والأجانب بدأ ينتابهم قلق الغريب، ومواقف السـيارات مكتظـة.. الجميع يتسـابق للهرب من نـذر الفناء، ما من مفرّط في روحـه ولا ماله، فجأة بدأت الحيـاة تعجبهم، والخـوف من مغادرتها يطبـق على تصنع الهدوء والثقة في وعود الشـيخ، وتجاهلوا نصيحة العقلاء؛ بأن القرية مقبلة على أيام سوداء كما قال التاجر الناصح للأهالـي.. لقد أدرك العقلاء منذ البداية.. خطورة التعصب القبلـي، والنّعـرات الطائفيـة، وبُحّـت أصواتهـم تحذيـرًا ونصحًـا ، ولكن لا مجيـب الكل نائمـون، وكأنَّ الأمر لا يعنيهـم، ومـا هذه الأحـداث إلا نتيجـة الفوضى، وعدم سيادة القانون.. لقد خُيّر شيخ القرية بخيارين لا ثالث لهما :

إما أن يُعدَم ابنه في ساحةٍ عامة، أو يتنازل عن الحكم

مقابل العفو عنه.. إنهما شرطان أحلاهما مُر!!

طلب من الوساطة مهلة ثلاثة أيام حتى يفكّر، وينظر في الأمر..ساد القلق بين الأهالي، وانتشر الخوف، ودبّ الرعب في أوساط الجميع، فالمهلة ثلاثة أيام.. الثانية فيها تعدل شهرًا كاملًا، فهل ستنقشع الغُمّة، ويعود دولاب العيش للدوران؟

هنا بدأ الكل يُحلّل، فهناك من يتوقع حدوث الأسوأ وهم الغالبية، وهناك من يقول بأنه سيتنازل عن الحكم حفاظًا على القرية، وفي نذر الفوضى قرع نواف باب أحمد في لهفة فتح الخادم فاندفع كالزوبعة!!

■ أحمد: ما بك..؟

■ نواف: لا يمكنك أن تتصور ما يجري، أنا قادم من السّوق، وبه جيش جرار لا أعرف منه أي شخص، غرباء يا أحمد، مرتزقة لا أعرف من جاء بهم، بلا شك يحتشدون لجريمة عظمى.!

■ أحمد: مهما كان هدف الغوغاء من هذه الاستعراضات، لم يتبق إلا يومان حتى تنتهي المهلة..

نواف: هي يومان، ولكنها ثقيلة جدًا، ثقيلة في دقائقها، وثقيلة في مرورها.

■ نواف: هل لديكم عصير أو ماء، سأموت من العطش، حدّث أحمد نفسه، بل أنا الذي استحالت نفسي قطعة حطب يابسة.. لاحظ تاجر القرية بفطنته أنَّ هناك تحركات مشبوهة من قبل أطراف كثيرة، وكأنهم يستعدون للأسوأ، ولمعركة مصيرية (كسر العظم)، وكأنَّ القرية تحولت كلها إلى معسكر تدريب، انتابه القلق، رأس المال جبان، ولطالما كان جبانًا، فحمل أمواله، وتحرّك إلى المدينة المجاورة مع بعض أفراد عائلته، وتركهم هناك، ثم رجع إلى القرية، وتوجّه إلى بيت نواف ابن اخته لإبلاغه بخطورة الموقف.

■ التاجر: وهو يمسح عرقه.. نواف، الوضع في القرية مرعب للغاية، والانفجار الكبير الذي حدّثتني عنه أراه على الأبواب..

■ نواف: أهلًا بك يا خالي.. فعلًا الوضع خطير، ولم تعد تجدي التحذيرات، وإذا اشتعلت النَّار فسوف تلتهم الجميع بلا استثناء.

■ التَّاجر: اللهم سلم سلم.. تلقيت للتو أنباء عن رفض الشيخ للشروط التي فرضتها عليه أسرة المقتول، واعتبرها إهانة له ولشرفه.. نواف: هل أنت متأكد من هذا، من أخبرك؟

■ التاجر: لدي أصدقاء في القصر.. مرَّ يومان، ولم يبق إلا يوم واحد فقط على الموعد، الجميع خائفون، وينتظرون بفارغ الصبر الأخبار الواردة من القصر هل سيفي الشيخ بالشروط أم لا؟

لحظات مرعبة تزحف كالرخويات المقرفة لا تصل، وأثرها لا يسلم من اللزوجة، لم يتبق سوى نصف يوم على الموعد النهائي، والجميع ينادي، ويبتهل سلم يا رب سلم.. هل يا ترى سيتحوّل وجه القرية الجميل لخرائب ينعق فيها البُوم.؟!

هل تشتعل الحرائق، وتموت المشاتل..؟

هل يكف المؤذن عن نداء الصلاة؟

هل تهدم المساجد..؟

وينتحر الخشوع في فوهات المدافع.. ؟

صوت هاتف نواف.. نواف: الو.. نعم..

■ التاجر: نواف نواف.. شيخ القرية.. سّنّ قوانين جديدة تقضي باستخدام القوة العسكرية ضد كل من يطالبه بالتنحّي، أو يحث الناس على التظاهر.. نواف: انتهى الأمر لن يقبل الناس بهذا، وستندلع أعمال العنف يجب أن نغادر القرية لم تعد بالمكان الآمن.. التاجر: سنغادر جميعًا، الوضع خطير جدًا!

■ نواف: ما رأيك أن نذهب إلى منزل أحمد، ونقنعه بالخروج معنا قبل حلول الليل، وانتهاء الموعد؟

■ تاجر: هذا هو الصواب انتظرني أمام الباب، وسنذهب لنعلمه بالتطورات الجديدة معا مرت ساعة، ولم يحضر خال نواف التاجر بحسب الموعد.. كذلك هاتفه لا يرد..

هل سيرد مرة أخرى؟

هل أصابه مكروه..؟

بدأ القلق يروح ويغدو بنواف فقرر أن يعلم أحمد بما جرى، ويصطحبه للبحث عن خاله التاجر.. ركب سيارته

(خديجة) كما تسميها أخته مريم.. أسرع ما استطاع، ووقف أمام بيت أحمد يطلق النفير العالي..

■ نواف: أحمد أحمد..

■ أحمد وهو يطل ببيجاما من الشرفة ما بك.. تعال أنزل..

■ نواف: لا وقت يا أحمد تعال بسرعة..

عقارب الوقت تلدغ أذني نواف يارب.. لم أحس بالصمم كلما توترت، الضجيج يصم خاطره، والدم القاني يمور.. أحمد: ما بك يا رجل أقلقتني.. نواف: الوضع خطير للغاية، ولا مكان لنا هنا.. فلتستعد للخروج، والمغادرة معنا قبل حلول الليل، وانتهاء الموعد النهائي.. أخبر الوالدة لتستعد لا تأخذوا معكم الكثير من المتاع فلن تتسع السيارات لغير الضروري.. أحمد: حسنًا سأخبرها.. حتى نخرج جميعًا قبل المساء الأمن انتهى، وبلا شك هذا الشّيخ لن يقر له قرار قبل أن يعلق على شجرة.. بعضهم شقي في بطن أمه، ولا يحسن غير توزيع الشقاء، هيا بنا نبحث عن خالك في ضواحي السوق ربما مر من هناك..

فـي تمـام السـاعة الثانيـة عشـرة حـدث مالـم يكـن بالحسـبان استشـاط شـيخ القريـة غضبًا، وعـلا صوته، وانتفخـت أوداجـه، وقـال: لا يمكـن أن أُهـان، وتُـداس كرامتي، ويسـقط شـرفي بهذه الطريقة المبتذلة والغير أخلاقيـة، ثـم قـال: قـرَّرت المواجهـة، وسـأكون قائدًا للحملة العسـكرية، لخمد الأصـوات المطالبة بتنحيتي.. أمـا أهالـي المقتـول، فقد اتخذوا قـرارًا حاسـمًا وحازمًا لمواجهـة آلـة البطش والتنكيـل، واعتبـروا أنَّ قتل ابنهم سـابقة خطيـرة، ولا يمكـن أن تمـر مرور الكـرام، ولو قتلوا جميعًا!

حاول العقلاء، والمصلحون التدخل لحلِّ هذه المشكلة العويصـة والخطيرة، ولكن دون جدوى فقد فشـلت كل المحـاولات، وفي تمام السـاعة الثانية بعـد منتصف الليل حلَّـت الكارثـة التي غيّـرت تاريـخ القريـة، وأدخلتها في نفـق مظلـم، فقـد قُتِـل شـيخ القريـة غـدرًا من قبـل أحد عسـاكره المنتمين لأسـرة المقتول!!.. فقد انقلب السِّحر علـى السَّـاحر، وقُتل الشـيخ بعـد أن أرغى وأزبـد، يا لها

مـن مصيبة..! ضاعت القرية إلى الأبد ، الآن يبدأ السـجال الشـيطاني، قتيلك قتيلـي، وقتيلي قتيلك.. الفـرار الفرار يـا أهل عدن.. اليوم يفر صفـوان، وعكرمة دون خجل ولا وجـل، من كان يرجو النجاة؛ فليركب أي شـيء، يسـير علـى دولاب، يـدور وليخـرج بعائلتـه قبـل الاشـتباكات.. ليهرب الهـروب الكبير البعيد إلى حيث اللامكان رفيق النازح، ووجهة الطيور مفقوءة العيون..!

أرتـال من السـيارات الحيرى تحاول مغـادرة القرية من الطـرق، والدروب الفرعية.. أحمـد ووالدته، ويتبعهم والد نواف وأخته في أخرى، بينما نواف ما زال يبحث عن خاله التّاجـر.. أحمـد يكاد يفقد عقله مـن الخوف على نواف، ليـس مـن عادة نـواف ألا يرد علـى هاتفه، لقـد اتصلت به أكثـر من عشـرين مـرة، إن لم يرد خلال سـاعة سـأعود أدراجي للبحث عنه، ولتكن مشيئة اللّٰه.. المهم أن أوصل رفقتي إلى مكانٍ آمن..!

نواف يا صديقي، وصديق صديقي أين أنت؟

خذ هاتفك خذه صوت ينهنه في المقعد المجاور..

أمـي أو تبكيـن.. هـل انهار صبـرك؟ هزتـك العاديات الماحقـات، وفـاة أبي ونزوحـك من بيتـك، وكأن الدنيا تتوعـدك، انتهـت أيام الهنـاء، وفري دموعـكِ للقادم.. بلا ملامـح، وهذا ما حدث فقد هرب الجميع تاركين خلفهم منازلهم، وأموالهم وقلوبهم هربوا، وأعينهم تفيض بالدمع حزنًـا علـى قريتهـم، وخوفًا على مسـتقبل أبنائهـم، فروا والأسـى يعلـوا وجوههـم، والكآبـة جثـت علـى قلوبهم، ولسـان حالهم يقول: نعوذ باللّٰه من الشـقاوة بعد السعادة، ومن الفقر بعد الغنى، ومن الخوف بعد الأمن، ومن الحزن بعـد الفرح.. نعوذ باللّٰه من شـر المنقلب، ومن شـر طوارق الليل والنهار، ومن سوء الحال، والمآل.

لـم تُصـدق عقولهـم القاصـرة؛ بـأن حالهـم قـد تغيّـر للأسوأ، وكأنهم في حلم، لا أموال، لا مزارع، لا منازل، لا حدائـق.. مـن قال أنَّ الحروب لا تدمر إلا أجمل المدن لم يكـذب أبدًا، أفٍ للحـروب العبثية، شـاه وجه المعتدي، وسكنت اللعنة بيته..!

لـم يرحمـوا طفـلًا رضيعًـا، ولا كهـلًا عاجـزًا، ولا مريضًا مقعدًا، أنَّات الثكالى، وأنين اليتامى لم يصل إلى

مسامعهم..

في السّاعة الخامسة فجرًا قرر أبناء الشّيخ الانتقام من الكل، وقرروا هدم القرية على رؤوس ساكنيها.. فصدرت الأوامر بقصف القرية بالسلاح الثقيل، وتدميرها نهائيًا!!

بدأ القصف الهمجي، والوحشي من الساعة السادسة حتى اليوم الثاني فجرا..

دُمرت عشرات المنازل نهائيًا، فاحترقت الأجساد تحت الأنقاض، وحتى دور العبادة لم تسلم منهم فقد طالتها أيدي الغدر، والخيانة فتم قصفها، وتدميرها.. وبالمقابل

قرر أهالي المقتول أن يؤدّبوهم، ويكسرا هيبتهم، ويعرّفُوهم بحجمهم الحقيقي.. فقد بلغ السيل الزبى، وضاقت الأنفس من غرورهم، وحانت ساعة التأديب، وكسر الظهر، وكان شعارهم «فإما حياة تسر الصديق... وإما ممات يغيظ العدى»، فقصفوا القصر، والثكنات، والممتلكات، وكل ماله صله بالشّيخ. وزمرته، ودمّروا كل شيء.. استمر القصف المتبادل لمدة ثلاثة أيام حتى

تغيـرت ملامـح القرية الجميلـة فأصبحت خرابًـا مروعًا، وقاعًـا صفصفًـا، دُمّر كل شـيء، واحترق كل شـيء، رائحـة المـوت تعُج فـي أرجـاء القريـة، والجثث منتشـرة بشـكل مرعـب ومخيـف.. الـكلاب المسـعورة متفاجئة ومنبهرة من أداء أخوتها من كلاب البشر..!

يصف أحـد الأهالي حال القرية بعـد القصف المتبادل حـال القرية فيقـول: (قامـت القيامـة)، الروائـح الزكية تبدّلـت إلـى رائحة الأجسـاد المحترقـة، الـورود الجميلة احترقـت، واحتـرق سـاقها الخـلّاب، القصـور الفارهـة أصبحـت أثرًا بعد عين، الحدائق الغنّاء حُولت إلى مقابر، الطيـور المهاجـرة لـم تجد مـاء صالحا للشُـرب، هكذا أصبح حال القرية!

لم يكتف المتصارعان بالقصف المتبادل، وإنما قرروا المواجهة المباشـرة، فقتل منهـم الكثير، والكثير حتى أرهقهـم التعـب، فتركوا القرية جميعًـا، وهربوا الهروب الكبير.. هربوا بعد أن قتلوا البهاء والجمال؟

هربـوا بعد أن منحوا القرية موتًا لا تسـتحقه، وكأنها ملكـة اختالـت فـي الحريـر، والدمقس طـوال حياتها ثم

كانت نهايتها السقوط في هوة مظلمة.. الموت في مجرور لا يليق بالملكات..!

هيا انهضي من الركام يا جميلة الجميلات، انبعثي كطائر فينيق عنيد يأبى انتصار الموت.. للمعتدين العار والشنار، ولهم اللعنات تلاحقهم ليل نهار، فالتاريخ لن يغفر لهم تدمير القرية، وتشريد أهلها.. الموت خطى مثقلات بالفجيعة، والناس سكان قبور عالية البنيان يدعونها منازل.. يولد أحدنا فيسكنوه بقبره العالي ثم يموت فجأة فيحفروا له مسافة في الاتجاه المعاكس.. باللّه ما قيمة تأجيل الأجل.. ؟

ما فائدة نجاة الإنسان من الموت المحتوم إلى دوح لم يعد يعرف كيف يستقبل الطيور..؟!

القرية الوادعة لم تعد كذلك، والشوارع مخيفة تتكوم فيها الجثث، وتفوح منها رائحة الدم. والأنوف المقطّعة... أيُّ فظاعة..

تخطى نواف جثمان البقال، وهو يسترجع بصوت مسموع.. إنا للّه وإنا إليه راجعون.. لم قُتِل العم منصور..؟

الوجه الباسم، والكف الممتدة بالحلوى..؟

رحماك بنا يارب.. ألهذا الحد، وصل بنا الحال؟

ما من وقت للرثاء، ولا للحنو على جريح موسد.. أزيز الرصاص، وأصوات المدافع لا تسكت، ما من وقت يا نواف، يجب أن تعثر على خالك قبل أن تحتدم المعارك مرة أخرى بين هؤلاء الكلاب.. إنَّ لبيت الخال قبوا من الممكن أن يكون قد قرَّر الاختباء فيه لنرى شقَّ طريقه في عزم، وقد أحكم لثامه على وجهه حتى وصل قرب المنزل فجأة، ومن اللامكان أحسَّ بماسورة باردة تلتصق بقفاه، أفعى تتمنطق بالبارود تلتصق برأسك يا نواف.. أشهد أن لا إله إلا الله.. و.. سمع صوت خاله يقول من أنت..؟! صاح، وعرفُه يسبق كلامه: نواف.. نواف يا خال. ثم دوت الطلقة في السَّماء.. كدت أقتلك، كيف جئت إلى هنا؟

■ نواف: جئت للبحث عنك، وقد بحثت عنك في كل مكان، وتحت دوي المدافع، وأزيز الرصاص، ولم أجدك هل أنت بخير؟: حفظك الله يا بني لقد خاطرت بحياتك... نواف: خفت أن تكون في مأزق..: هيا.. بسرعة من هنا ولنكمل كلامنا في القبو..

أما أحمد فقد عاش أسوأ أيامه في المدينة، فلم يستلذ بطعام، ولا شـراب، وتيرة القلق علـى صديقه نواف تزداد بسرعة، الوسواس لا يكاد يفارقه خوفًا على صديقه فما إن وضعـت الحرب أوزارها، واختفى صـوت المدفع؛ حتى تحـرّك علـى الفور إلى القريـة ليبحث عنـه، فما إن وصل إلـى أطرافهـا حتى رأى من الخراب، والدمار ما تشـيب له الولدان؟!

فقـد دُمّرت عن بكـرة أبيها، وبشـكلٍ مُمنهج.. فتوجّه إلـى منـزل أبيـه فكانـت المفاجـأة صادمـة، فقـد دُمَـر بأكملـه فسـقطت دموعـه، وارتعش جسـده، واضْطرب قلبـه، فمنزلهم الوحيد قد طالته أيدي الخراب، حديقتهم الجميلـة حُرقت، وحتى الأغنام والمواشـي لم تسـلم منهم فقـد تناثـرت بطونهـا، وصديقه نواف لم يسـمع لـه خبرًا فغادر، والأسى يقطّع نياط قلبه، ويتمتم: أي ابتلاءٍ هذا..؟!

عليهم من الله ما يستحقون.. ثم توجّه إلى مقبرة القرية، وهـو يقول: رحمك الله يا أبتـي.. اللهم أجرني في مصيبتي هـذه، واخلفنـي خيـرًا منهـا.. فقـد دُفن فـي القبـر قلبه،

وروحـه، وفؤاده، وسـنده، وفخـره، وقوته، دفـن مناغاة طفولتـه، وعقل شـبابه.. أحس برغبة في الصـراخ، اللعنة عليكـم أيهـا القتلة، العـار عليكم أيهـا المجرمون فقد أدخلتـم الحزن فـي كلِّ قلب، وستسـابقون الريح للهروب بعـد خـراب القريـة ودمارها! ثم سـالت دمعتـه.. توجّه بعد ذلك إلى وسط القرية، وكانت المفاجأة السارة.. أنه وجد صديقـه نواف، وخاله التاجر بعد أن هـدأ صوت المدفع.. فما إن التقوا حتى فاضت دموعهم شوقًا بعد فُرقة، وحُزنًا علـى قريتهـم كيف كانـت، وكيف أصبحـت، فنزفت قلوبهم دمًا، وتقطعت كمدًا.

■ نواف: أرأيت يا أحمد ما فعل الخونة، قريتنا تسـاوت بـالأرض، وأرواح الأبرياء أُزهقـت.. الحرب تدمر الجمال، وتقضـي على المسـتقبل، الحرب تدمي القلـوب، وتحطّم النفوس، فلن تقوم لن قائمة بعد اليوم.

■ التاجـر في أسـى: صدقت يـا ابن أختي..النـور الذي كنـا تنتظره قـد انطفأ، والماء العذب الذي كنا نشـربه أصبـح غـورًا، والهواء الذي كنا نستنشـقه انقطع فجأة، والمسـتقبل الذي كنا نحلم به ذهب.. اللّه المستعان، وهو

حسبنا ونعم الوكيل

■ أحمد : اليوم زرت قبر أبي، ولا تتصوران ما حدث لي.. آه من الدنيا ، ومن تفاهتها ، وا أسفاه على حبيب رحل عنا ، وتركنا نتجرّع مرارة العيش، ووحشة الفراق، وا أسفاه على أبي.. اشتقت لرؤية وجهه ، اشتقت لمحياه البشوش، وكفه المتوضئ.. لا أصدق أني لن أراه بعد اليوم كلما فكرت بهذه الطريقة أحس بنياط قلبي، وكأنها ستتقطع قسما.. !

■ التاجر: بالمناسبة كيف حال الوالدة.. أحمد : حزينة لدرجة أني بت لا أعرفها ، والمصيبة أنها تكتم ذلك في نفسها.. نواف :كيف سنخرج من القرية برأيكما التاجر: سننتظر حلول الظلام، وننطلق ناحية الجبل، وسنجد وسيلة من هناك لنلتحق بعوائلنا.. أحمد : وإذن دعونا نختبئ حتى الموعد.. التاجر: هيا إلى منزلي.. أقبل الليل كعواء غول ملتاع، وأحمد يراوح مكانه في القبو ، ويفكر بشذى.. ترى ماذا تفعلين يا حبيبتي..؟

هل تفكرين بي كما أفعل؟

هل تستحيل الأشياء في البعد عندك لخرافات عجوز، وتهاويم فلسفات أمم منقرضة.. ما حال الفم الجميل، والأعين النجل.. خبريني عنك بخبر كيما أبقى من الأحياء.. بللي شفتي بقطرة فقد تشققتا من الشقاء، آه من بعدك ما أصعبه على النفس، ليتك تضعين قلبك على أذني لأسمع الهمس.. لا تقولي لا كعادتك.. عندي هذا الصواب، والأقوم قيلًا.. شذى.. يا شذى..

■ كتم نواف ضحكه تسللت لشفتيه، وهو يقوم من جوار خاله النائم، وأشار لأحمد أن اتبعني..

■ أحمد: نعم ما بك

■ نواف: يا رجل سيطر على أعصابك خالي نائم بجوارك، وأنت شذى يا شذى.. هل كنت تحلم أحلام يقظة؟

أحمد في خجل: لم أفطن، والله لنفسي، أنا مشتاق لها.. نواف: يكفي يا أحمد.. احسم هذا الأمر..

إذا كتب الله لنا النجاة الليلة أتمم عرسك مهما كانت الظروف..

■ أحمد: سأفعل لم يعد باستطاعتي الصبر أكثر، كذلك في ظل الظروف الحالية يجب أن تكون شذى إلى جواري في كل وقت.. أريد أن أراها صبح مساء..

■ نواف: صبح مساء.. مساء صبح.. ليل نهار.. و.. و.. وأطلق ضحكة عاليه سمعها خاله التاجر فتحرك، .صحا الخال فوجد أحمد، ونواف يصلون العشاء.. توضأ وصلى هو الآخر، وقال لهم: هيا بنا دعونا نأكل قبل أن ننطلق تحسبا للطريق ..عندي بيض، وكسرات من الخبز.. نواف: لا نستطيع الانتظار أكثر لنحمل الأكل معنا، والماء أيضا سنترك السيارة في المرآب فكل الطرق الرئيسية مقطوعة.. التاجر: إذن على بركة الله.. أحمد: لحظة هل عندك مصباح يدوي.. التاجر: لا ولكن بهاتفي واحد، وقد شحنته.. نواف: ماذا عن الأسلحة.. ؟

التاجر: خذ مسدس، وثلاثة سكاكين من المطبخ ولندعو الله ألا نستخدمهم، وأن يكفينا شر القتال.. أحمد: هيا لنخرج إذن.. التاجر: على بركة الله..

تلفع ثلاثة أشباح في وجف ستار الظلمة، وخرجوا الواحد تلو الآخر.. نواف، وأحمد يسبقان الكهل

بخطوات واسعة، والصمت سيد الرحلة، واصلوا السير لنصف ساعة حتى حدود الجبل دون أن يروا أي شخص.. كذلك عزف الطلقات المتقطعة توقف، وكأنَّ الفنان الفاشل الذي كان يصر على إسماع فنه للحضور تعب من العزف فجأة فحمل آلته الموسيقية، وانسحب في خيبة تاركًا الجمهور في حيرة وراحة منقطعة النظير.. الحمد لله، ما مِن طلقات مدافع، ولا أصوات للرشاشات.. ما من قنابل حارقة، ولا مرتزقة يروعون المارة.. انتهت المهمة الأساسية التي جاءت بهم للقرية خربوها عن بكرة أبيها.. نهبوا الخيرات، وقطعوا أو صال التلاحم، والتعايش السلمي بين السكّان إلى الأبد.. وأبد الآبدين.

واصل الثلاثة رحلتهم صوب تقاطع الطرق بحثًا عن سيارة تحملهم للمدينة المجاورة.. وقبل أن يصلوا إلى المكان المحدد سلفا؛ انتابهم خوف شديد، وكأن القدر يُخبّئ لهم شيئا مكروها.. نبضات القلب تتسارع، العَرَق يتصبب بغزارة غير معهودة، أمّا أرجُلُهم فلم تقْو على السّير، وكأنها تطأ الشّوك والحصى.. إرهاق، تعب، ضيق تنفس، يا الله .. إنها لحظات أشبه بالاحتضار، استجمع

التاجـر قُواه، وهمس في أذن نواف ابـن اخته، لعلنا وقعنا في كمين مُحكم لقُطّاع الطُّرق، وما نملك من سـلاح ما يؤهلنـا للمواجهة، أخبر أحمد حتى يأخذ حذره ويسـتعدّ.. مـا إن تحرّك نواف خُطوتين نحو أحمـد إلا وانهالت عليهم الرصاص من كل جانب، وبشـكل غير مسـبوق من هول الصدمـة فقد أحمد الأمل فـي النجاة، وصرخ بصوت عال أيهـا الجبنـاء هل تطيب نفوسـكم أن أرحّل من الدنيا قبل أن أتزوّج؟

وأن أموت قبل أن يتحقق حلمي؟

ثـم ركض بسّـرعة البرق؛ لعله أن يفلـت من بين أنياب قطّـاع الطّـرق، أمـا نـواف وخالـه فقـد كتـب اللّه لهمـا النجاة، واسـتطاعا أن يختبأ خلف صخرة كبيرة، وعاشا ليلـة صعّبـة.. فيهـا مـن الآلام، والأوجـاع ما تنـوء بحملهن العُصبـة مـن الرجـال.. خـوف، رعـب، جوع، وقد شـبهها التاجـر بليلة الهرير.. تلك الليلة المأسـاوية من ليالي حرب صفّيـن.. ثم أردف قائلا: قطاع الطّرق هم لصوص الوطن، لصـوص التنميـة، لاهـمّ لهم إلا كروشـهم، إن لـم يُقطع دابرهم تكّاثروا، وعاثوا في الأرض فساداً، وما مثلهم إلا

كمثل الذئب الذي عاث في الغنم؛ فأفسّد فيها بالافتراس والتّقتيل، ثمّ التفت إلى نواف، وعيناه تذرفان... هل سمعت ليلة أمس صُراخ أحمد.. لقد تمزّق فؤادي، وشعرت بألم لا يُوصف.. نواف: يُجيب خاله بالدّموع فهي أصدق تعبير.. ثُمّ خرجا يبحثا عنه لعلهما يجدانه بحثا عنه في كل مكان، ولكن دون جدوى، بدأ القلق يُسيطر عليهما، وخاصة نوّاف صديق طفولتة، وتوأم روحه .. فقد أقسم بالله أن لا يذوق طعاما، ولا يشرب شرابا حتى يجد أحمد .. التّاجر: أخشى أن قُطّاع الطُّرق تمكّنوا من الإمساك به نواف: أرجوك يا خال لا أحبّ أن أسمع مثل هذه الاحتمالات؛ فقلبي الضعيف لا يتحمل مزيدا من الألم.. ثُمّ قال له: يُمكنك أن ترجع إلى البيت إذا أردت، وسأظل هنا حتى أجده.. التاجر: والله لن أرجع البيت بدونه حتى لو أكلتني السّباع، وافترستني الضباع، قُم نبحث عنه في الجبل المجاور فلن نستسلم، ولن نيأس؛ فانطلقا، وهما يدعوان الله أن يجداه، ولم يصبه أي مكروه، وعند وصولهما رأى نواف كهفاً في أعلى الجبل تغطّيه الأشجار؛ فأراد أن يصعد إليه لعلّ أحمد بداخله..فقال له خاله : انتظر هنا ،

وسأصعد أنا رفض نواف وقال: بل أنا.. فصعد الاثنانُ نحو الكهف.. وعند وصولهما ، وجدا كهفًا مظلمًا مخيفًا؛ فبدأ اليأس يُحطّمهما.. التاجر: ينادي أحمد أحمد.. أين أنت يا أحمد.. نوّاف: عزم أن يدخل الكهف، وطلب من خاله أن يعطيه مصباحًا ، ولحُسن الحظ أن خاله يحمل معه مصباحًا.. ما إن بدأ نواف يدخل إلا ورأى صديقه أحمد مُستلقيا على الأرض؛ فجثا على رُكبتيه من هول ما رأى!!

فرآه خاله فهرع إليه مُسرعًا؛ فما إن وصل إليه إلا ووجده في حالة يّرثى لها ، وقد سقط المصباح من يده، وكان يشير إلى وسط الكهف.. أخذ خاله المصباح، وكانت المفاجأة له أن أحمد موجود وسط الكهف، وأنه نائم، وقد دخل مرحلة النوم العميق، وتُعتبر هذه المرحلة الأكثر تعقيدا في مراحل النوم حيث يتفاعل النائم تلقائيا مع الأحلام التي يراها.. اقترب إلى نواف، وهمس في أذنه قائلا له: الحمد لله أننا وجدناه، وهو في صحة جيده، وهو الآن نائم.. ما إن سمع نواف إلا وقبّل خاله على جبينه، وكأنه ولد من جديد.. التاجر: انتظرني يا نواف خارج

الكهف، وسأبدأ في إيقاظه.. توجّه نحو أحمد، وجلس بجواره، وفجأة سمعه يقول أين أنتِ يا شذى، أين أنتِ يا شذى؛ فدمعت عيناهُ، وقال في نفسه هنيئًا لكِ يا شذى بهذا الشاب الوفي النبيل، لم يخنك حتى في عالم الأحلام، ثم بدأ يُوقظه وينادِيه بصوتٍ منخفض حتى استيقظ مفزوعًا خائفًا.. فقال له: لا تخف يا أحمد أنا التاجر، ونوّاف خارج الكهف.. فاطمئن قلبه، وهدأ روعه فبدأ يمازحه سمعتك يا أحمد تتمتم باسم شذى!!

نعم اللّٰه يهديك أنت أيقظتني وأنا أحلم بها.. نواف: من خارِج الكهف هههه اللّٰه يهديك يا صديقي نحن نبكي عليكَ، وأنت في عالمَ الحب مع شذى اللّٰه يجمعكما على خير، ثم خرجا من الكهف، وتعانق الصديقان الوفيان فتارة يبكيان، وتارة يضحكان.. التاجر: يا أحمد لماذا اخترت أن تختبئ هنا؟

أحمد: في وقت الكمين الغادر أدركت أنني سأموت، وفكرت أن أختبئ في هذا المكان لأنني أعرفه من قبل.. نواف: واللّٰه لقد تقطّعت قلوبنا حزنا عليك، وعشنا أسوأ اللحظات، والحمد للّٰه على سلامتك، أحمد: الحمد للّٰه

علـى سـلامتكما أيضـا؛ فقد خفـت عليكمـا والله، ثم واصلوا السـير بحثا عن سيارة تحملهم للمدينة، وكلهم لا يصـدق أنه من الناجين.. كلهم ذاك الجندي المخلف وراء جيشـه المهزوم، تعب، وجائع، والحسـرة، وخنقة الغصة تمنعه الحديث.. سـيارة كبيرة تقتـرب بها أكثر من وجه معفر يعرفه أحمد.

هذا أسامة أول صيدلاني بالقرية، وهذا الصغير محمد ابن بائعة الخضار أين أمه؟

فلتسـلمي يـا أم محمـد رجاء لـي، ولابنك هـل معكم مـكان لنـا، هـكذا صرخ نـواف.. أجـاب السَّـائق: النفر ب.. يا له من مبلغ خرافي، ليس هذا وقت المسـاومة طبعًا مصائب قوم عند قوم فوائد.. مدَّ أحد من حُشِـر في حوض السيارة الخلفي يده للتاجر فصعد، وتبعه نواف وأحمد في خفـة لا يجدانها في قلبيهمـا، وانطلقت القافلـة الحزينة.. عائـد من مدن الفلين، والقسـطل.. دون فلين ولا قسـطل، بطلـكِ المهـزوم يا شـذى عائـد.. فاسـتقبليني فـي نصف قلبكِ، واغلقيه عليَّ..

لا أريـد الخـروج أبدًا.. لا أريد أصـلًا أن أعيش في هذا

العالـم القبيح، من قال إن الأحزان تخرس الناس حمار من يعتقد ذلك.. الولولة كلام، والدماء كلام.

مسـاء الغم، والثرثـرة الأليمـة، مسـاء الراجفة تبحث عن رادفة تخرسـها، إن تلاحق المصائب من عظيم النعم.. فتفقد الإحسـاس، والشـعور لعظم مصابـك فلا تتفنن في النواح.. تسـتكين لقدرك، وتعيش كمن يخرج لسانه لما حدث.. لا أزال حيا السـماء فوقي، والأرض تحتي، لا أزال أسـعى في مناكبهـا يا مصيبتي.. غدا عُرسـي بلا جدال.. لا بـد للحـق أن ينتصر علـى الباطل، والنـور على الظلام، والجمـال علـى القبح، والفـرح على الحـزن، والخير على الشر، والورد على الشوك، لن نستسلم للأحزان تكبّلنا، وتُقيّد حركتنا..

سـنعلن للمـلأ نحن دعاة سـلام وحب، سـلاحنا وردة، وغصـن الياسـمين، كفى حربًا ودمارًا وتشـريدًا، كفى قتـلًا للأنفـس المعصومـة، وصلـت السـيارة لبيت شـذى فاسـتقبلوها، والأهـل في لهفة، وبالدمـع الصافي.. لكن أحمد لم ير شذى!!

تقمص قلبه شخصية سائح بين القارات..

فهمس لنواف اسأل عَن شذى..

■ نواف: لم أرى شذى لعلها بخير!!

■ والدة شذى: بخير لكنها محمومة بعض الشيء.

■ نواف: لو تأذنون في السلام عليها.. هل معها أحد في الداخل؟

■ والدة شذى: معها الخادمة بإمكانكم الدخول.. لحظة سأعلمهم دخل أحمد إلى غرفة شذى تاركًا صديقه عند الباب بعد أن غمز له..

■ شذى: أهلا أحمد.. الحمد لله على السلامة

■ أحمد: ما بك أخفتني..

■ شذى: في الحقيقة معظم ما بي من القلق عليكم.. كنت خائفة يا أحمد أن لا أراك مجددًا ، الآن أحس أني برأت من الأوجاع؛ بعد اليوم لن أمرض أبدًا أبدًا..

■ أحمد: يستحسن أن تتركي السرير لأني سأفاتح الأهل في إتمام العقد ، و العرس غدا..

■ شذى: بهذه السرعة انتظر حتى أتعافى..

■ أحمـد : لأرى.. مـد يـده المرتجفـة في سـرعة لجبين شـذى الحـرارة عاديـة؛ ألصق رأسـه دون مبـالاة بالخادمة المصدومة على صدر شذى الذي يخفق كالطبل، النبض عادي، أو شبه عادي وضحك..

تضرج وجه شـذى بحمـرة الخجل، وقالـت: في تحذير مرح استوب قف ممنوع الاقتراب أكثر؟ حضرة الدكتور.. موافقة لنتزوج غدًا.

أحمد : غدًا؟

شذى: غدًا..

خـرج أحمـد مـن الغرفـة يتطـوّح كالسـكران حـول فرحته..

ما أغرب الحياة..

من أقصى اليمين لأقصى أقاصيه..

من الأشلاء النازفة، ووجع البين..

لفرحة العرس، ولقاء المحبوب..

أليـس قـوس قَـزح ملخص لهـا.. ننتقل من لـون إلى لون

طوال أعمارنا ، والفرق الوحيد رشاقتنا في القفز، البعض لاعـب ماهر ومدرب، والبعض غر سـاذج كلما حان وقت قفزته وانتقاله من حال إلى حال وقع على رأسـه، وتسـبب في العطب لنفسه ولغيره حتى أحيانًا.

حـان وقـت فرحـي، وانتقالـي للـون جديـد.. تقاطـرت الجمـوع المهنئـة لمـكان إقامة أسـرة أحمد فـي المدينة الجديدة، وذبحت الذبائح، ونُصبت الخيام، وغنى الجميع لأحمـد وشـذى.. فهمـا وحدهما مـن انتصرا علـى البارود والمدفـع.. ذاك هـو النصـر الحقيقي بعيدا عـن التّعجرف والتّهـور والتّخويـن، مـن أحرق القريـة، ودمرها، وشـرّد أهلها هو المخذول

نعم للحب،

نعم للسلام،

نعم للحوار الهادئ.

لا للحرب،

لا للفتنة،

لا للطائفية،

هنيئًا لأحمد وشـذى، والعار والشنار لمن أحرق القرية الجميلة.